الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

مذكرة بعنوان:

الاختام الاسطوانية في بلاد الرافدين من 2800 ق،م إلى 539 ق،م

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ الحضارات القديمة

إعداد الطالبين:

- خليفة حماتي
- عبد الحق بن يوسف

إشراف:

أ/د مُحَّد رشدي جراية

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
التجاني مياطه	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي–	رئيسا
مُحَّد رشدي جراية	استاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي–	مشرفا ومقررا
عبد الحق بالنور	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي–	مناقشا

السنة الجامعية: 2024 / 2025

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

مذكرة بعنوان:

الاختام الاسطوانية في بلاد الرافدين من 2800 ق،م إلى 539 ق،م

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ الحضارات القديمة

إعداد الطالبين:

- خليفة حماتي
- عبد الحق بن يوسف

إشراف:

أ/د مُحَمَّد رشدي جراية

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
التجاني مياطه	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي–	رئيسا
مُحَمَّد رشدي جراية	استاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي–	مشرفا ومقررا
عبد الحق بالنور	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي–	مناقشا

السنة الجامعية: 2024 / 2025

بسم الله الرحمن الرحيم

شـــكر و تقدير

الحمد لله والشكر أولا وأخيرا على فضله وكرمه وبركته
الذي أنعم علينا بالتوفيق
نتقدم بجزيل الشكر والتقديرلأستاذنا الفاضل الدكتور
محمد رشدي جراية الذي لم يبخل علينا وعلى صبره معنا
وعلى ماقدمه لنا من توجيهاتونصائح قيمة .
وكما يسعدنا أيضا أن نتقدم بخالص الشكر والإمتنان إلى
أساتذة قسم التاريخ .
وكذلك نتوجه بالشكر إلى كل إطارات كلية العلوم
الاجتماعية والانسانية وكل من قدم لنا يد العون في إنجاز
هذا البحث جزاهم الله جميعا خير الجزاء

الإهداء

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع

إلى نبع الحنان إلى من حملتني وهن على وهن وسهرت على تربيتي ومنحتني القوة والحياة أمي الغالية حفظها الله ورعاها.

إلى أبي الغالي.

إلى من تربيت وترعرعت بينهم إخوتي.

إلى الزوجة الكريمة والأبناءالى الأصدقاء كل بمنزلته وكل بمقامه.

إلى كل من علمنا العلم النافع وحثنا على العمل الصالح أساتذتي الكرام إلى كل الأهل والأحباب.

خليفة

الإهداء

الى والدي العزيزين، نبع الحنان و التضحية، و سر قوتي و نجاحي اليكما اهدي ثمرة هذا الهد كعربون وفاء و عرفان.

الى رفيقة دربي و شريكة حياتي زوجتي الغالية التي كانت سندا و ملاذي و شاركتني لحضات التعب و السهر بصبر و حب

اهدي هذه المذكرة بكل امتنان الى اخوتي و اخواتي الأعزاء الذين كانو دوما العون و الرفيق.

اهديكم هذه الثمرة تقديرا لدعمكم المستمر

الى أصدقائي الاوفياء الذين شاركوني مسيرة العلم وكانوا خير رفقة في درب المعرفة لكم مني كل التقدير

الى كل من قدم يد العون من قريب او بعيد بكلمة او دعاء او مساعدة اهدي هذا العمل ليكون شهادة امتنان خالصة

عبد الحق

ملخص:

تمثل الأختام الأسطوانية أهمية كبيرة باعتبارها من أهم المخلفات المادية الفنية، التي تساهم في التأريخ لحضارة بلاد الرافدين، فهي من أهم المصادر الأثرية لدراسة تاريخ هذه الحضارة، والتي يمكن تتبع نشأتها وتطورها وانتشارها عبر المراحل التاريخية المتعاقبة، وانتشارها حتى في معظم مناطق الشرق القديم، وقد اخترعت هذه الأختام مع تطور الحياة في نهاية الألف الرابع ق.م في عهد الوركاء، وارتبطت ارتباطا وثيقا بالتطور الاقتصادي الذي حدث خلال هذا العصر، ومثّلت الدليل الحقيقي في معرفة الحقب التاريخية لبلاد الرافدين. وكان استعمال الختم يهدف منذ بداية اختراعه إلى التعبير عن ملكية الشيء المختوم، ويعبّر عن هوية صاحبه ويحمل الصفة القانونية الملزمة أمام المحاكم. وقد تميّزت الأختام بتعدد مواضيعها وتنوع قيمها التي تعبّر عن التحولات الفكرية والتطورات الثقافية التي مرّت بها حضارة بلاد الرافدين عبر تاريخها الطويل.

Abstract:

Cylinder seals represent great importance as one of the most important artistic material remnants, which contribute to the historiography of the Mesopotamian civilization .they are one of the most important archaeological sources for studying the history of this civilization, which can be traced its origin, development and spread through successive historical stages, and spread even in most regions of the Ancient East. these seals were invented with the development of life at the end of the fourth millennium BC .It was closely associated with the economic development that took place during this era, and represented the real evidence in the knowledge of the historical epochs of Mesopotamia. From the very beginning of its invention, the use of a seal was intended to express the ownership of the sealed object, express the identity of its owner and carry the legally binding status before the courts. The Seals were distinguished by the multiplicity of their themes and the diversity of their values, which express the intellectual transformations and cultural developments that the civilization of Mesopotamia has undergone throughout its long history.

مقدّمة

مقدمة

تُعَدُّ حضارة بلاد الرافدين من أبرز الحضارات التي عرفها التاريخ القديم، إذ شكّلت مهدًا للمدنية الإنسانية ومسرحًا لأولى الإنجازات الفكرية والتنظيمية التي أسست لبنية المجتمعات اللاحقة. فقد ارتبطت هذه الحضارة بالنهرين العظيمين دجلة والفرات، اللذين شكلا محوراً رئيساً في نشوء المراكز الزراعية، ونمو المدن، وتطور أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية. ومن بين الشواهد المادية المتميزة التي خلفتها تلك الحضارة العريقة، برزت الأختام الأسطوانية كأداة فنية وإدارية ودينية تحمل دلالات متعددة، وتمثل مرآة صادقة لجوانب الحياة المختلفة في بلاد الرافدين منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد حتى سقوط بابل عام 539 ق.م.

لقد ارتبط ظهور الأختام الأسطوانية بالتحولات الكبرى التي شهدتها المجتمعات الرافدينية، لاسيما مع ازدهار الكتابة المسمارية وتطور الإدارة الاقتصادية والسياسية، حيث أصبحت الأختام أداة لا غنى عنها لتوثيق المعاملات وحماية الملكيات وتنظيم النشاط التجاري. غير أن أهميتها لم تقف عند الجانب الوظيفي البحت، بل امتدت إلى مجالات الفن والرمز والعقيدة، إذ زخرفت بمناظر أسطورية ودينية تُجسد تصورات الإنسان الرافديني عن الكون والآلهة، وعن علاقته بالعالم المادي والميتافيزيقي. وهكذا أصبحت الأختام الأسطوانية وثيقة مصورة تحمل بين ثناياها معلومات تاريخية وفنية واجتماعية ذات قيمة لا تقدر بثمن.

إنّ دراسة الأختام الأسطوانية لا تقتصر على الجانب الأثري أو الفني فحسب، بل تمثل مدخلاً لفهم البنية الحضارية لمجتمع بلاد الرافدين، باعتبارها شاهداً على تطور الفكر الديني والسياسي والاقتصادي عبر مراحل زمنية متعاقبة. كما أنها تكشف عن تطور فن النحت والنقش على الأحجار الكريمة وشبه الكريمة، مما يدل على مهارة الفنانين الرافدينيين وقدرتهم على تجسيد موضوعات معقدة ضمن مساحات ضيقة.

تأتي هذه المذكرة لتسليط الضوء على الأختام الأسطوانية في بلاد الرافدين بين 2800 ق.م و539 ق.م، من خلال مقاربة تاريخية وحضارية وفنية، تحاول الجمع بين الدراسة الوصفية والتحليلية.

وتبرز أهمية الموضوع في كونه يتناول جانباً لا يزال بحاجة إلى المزيد من البحث والدراسة، خاصةً أن الأختام الأسطوانية توفر معطيات لا نجدها دائماً في النصوص المسمارية، مما يجعلها مصدراً تكميلياً لفهم التاريخ الرافديني في أبعاده المتعددة.

إشكالية البحث

تتمحور الإشكالية الأساسية لهذه الدراسة حول التساؤل الآتي:

ما الدور الذي لعبته الأختام الأسطوانية في الحياة الإدارية والفنية والدينية لبلاد الرافدين، وكيف تطورت عبر العصور المختلفة حتى سقوط بابل سنة 539 ق.م؟

ويندرج تحت هذا التساؤل الرئيس مجموعة من التساؤلات الفرعية:

1. ما هي الخصائص المميزة للأختام الأسطوانية من حيث الشكل، المواد، وتقنيات الصناعة؟
2. ما هي السياقات التاريخية والاجتماعية التي أفرزت ظهورها وانتشارها في بلاد الرافدين؟
3. كيف تجلت أهميتها بوصفها أداة إدارية ورمزاً فنياً ودينياً؟
4. ما أوجه التطور التي عرفتها عبر العصور السومرية والأكدية والآشورية والبابلية؟

أهداف البحث

إبراز الأبعاد التاريخية والحضارية للأختام الأسطوانية في بلاد الرافدين.

توضيح الدور الإداري والاقتصادي للأختام في تنظيم المعاملات وتوثيقها.

دراسة القيمة الفنية والجمالية للأختام بوصفها تحفاً فنية مصغرة.

تتبع التطور الزمني للأختام وربطه بالتحولات السياسية والاجتماعية والدينية.

الدراسات السابقة

لقد تناولت الدراسات موضوع الأختام الأسطوانية بطرق متباينة، منها ما ركّز على الجوانب الفنية، ومنها ما ركز على الدلالات الدينية والإدارية. ومن أبرز هذه الدراسات:

باللغة العربية:

.1صبحي أنور رشيد، الأختام في العراق القديم، بغداد، 1980. يُعدّ من أوائل المؤلفات العربية المتخصصة التي درست الأختام من جوانبها التاريخية والفنية.

.2مُحَمَّد علي أبو شحمة، "الأختام الأسطوانية مصدراً من مصادر دراسة تاريخ بلاد الرافدين"، مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد، 2012. ركز على قيمة الأختام كمصدر مكمل للنصوص المسمارية.

.3عامر سليمان، الفن في العراق القديم، بغداد، 1985. تناول فيه الفنون بما فيها الأختام كجزء من النتاج الفني الرافديني.

باللغة الأجنبية:

1. Dominique Collon, First Impressions:CylinderSeals in the Ancient Near East, London, 1987.يعد مرجعاً أساسياً في دراسة الأختام الأسطوانية، جمع بين العرض الفني والتحليل التاريخي.

2. Briggs Buchanan, Early Near EasternSeals in the Yale Babylonian Collection, New Haven, 1981.ركّز على دراسة مجموعات الأختام المحفوظة في جامعة ييل مع تصنيفها زمنياً وفنياً.

يتضح من مراجعة هذه الدراسات أنّ موضوع الأختام الأسطوانية لا يزال بحاجة إلى مزيد من التحليل الأكاديمي، خصوصاً في جانب ربطها بالتحولات الحضارية الكبرى التي شهدتها بلاد الرافدين.

منهج البحث

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، مع توظيف المنهج المقارن بين النصوص المسمارية واللقى الأثرية (الأختام)، إلى جانب الاستفادة من المنهج الوصفي في تحليل المشاهد الفنية والزخرفية.

مجال البحث

الحدود الزمانية: من 2800 ق.م (بداية ظهور الأختام في عصر فجر السلالات) إلى 539 ق.م (سقوط بابل على يد الفرس).

الحدود المكانية: تركز الدراسة على بلاد الرافدين (جنوب وشمال العراق القديم)

خطة البحث

جاءت خطة المذكرة على النحو الآتي:

الفصل التمهيدي: الاطار التاريخي و الجغرافي لحضارة بلاد الرافدين

يتناول العوامل الجغرافية المؤثرة في نشوء الحضارة، والتسلسل التاريخي للأدوار الحضارية حتى سقوط بابل.

الفصل الأول: ماهية الأختام الأسطوانية في بلاد الرافدين

يشمل التعريف اللغوي والاصطلاحي، تاريخ ظهور الأختام الأسطوانية ، المواد الخام المستخدمة، وأساليب وتقنيات الصناعة.

الفصل الثاني: أهمية الأختام الأسطوانية وتطورها عبر العصور المختلفة لحضارة بلاد الرافدين

يركز على الوظائف الإدارية والسياسية ، الاقتصادية والتجارية ، الدينية والفنية للأختام، مع تتبع مظاهر تطورها عبر العصور السومرية، الأكدية، الآشورية، والبابلية

صعوبات البحث:

لقد واجهتنا في بحثنا هذا العديد من الصعوبات يمكن ترتيبها كالآتي:

- صعوبة التحصل على المادة العلمية
- قلة و شح المصادر العربية المتخصصة حول الموضوع قيد الدراسة
- عدم توفر ترجمات لبعض الاعمال من شأنها اظهار عدة وانب للموضوع
- غياب التعمق في الموضوع لدى بعض المؤلفين
- صعوبة التنقل لبعض الاماكن التي تتوافر فيها المادة العلمية .

خطة البحث :

مقدمة

الفصل التمهيدي : الاطار التاريخي و الجغرافي لحضارة بلاد الرافدين

المبحث الأول :الإطار الجغرافي لبلاد الرافدين

المطلب الأول : أصل تسمية بلاد الرافدين

المطلب الثاني : الموقع الجغرافي لبلاد الرافدين

المطلب الثالث : أهمية الموقع الجغرافي في نشوء الحضارات

المبحث الثاني : الإطار التاريخي لبلاد الرافدين

المطلب الأول : أهم حضارات بلاد الرافدين

المطلب الثاني :مظاهر الحياة في حضارة بلاد الرافدين

المطلب الثالث : الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين

الفصل الأول : ماهية الأختام الأسطوانية ونشأتها في بلاد الرافدين

المبحث الأول : التعريف العام للأختام الأسطوانية

المطلب الأول : مفهوم الأختام الأسطوانية .

المطلب الثاني: الاختام الاسطوانية ما قبل فجر السلالات.

المبحث الثاني: مواد وتقنيات صناعة الأختام الأسطوانية

المطلب الأول : المواد المستخدمة في صناعة الأختام.

المطلب الثاني: أدوات وأساليب صناعة الأختام.

الفصل الثاني: أهمية الأختام الأسطوانية وتطورها عبر العصور المختلفة لحضارة بلاد الرافدين

المبحث الأول: أهمية الأختام الأسطوانية ووظائفها

المطلب الأول: الأهمية الإدارية والسياسية للأختام الأسطوانية

المطلب الثاني: الأهمية الاقتصادية والتجارية للأختام الأسطوانية

المطلب الثالث: الأهمية الدينية والفنية للأختام الأسطوانية

المبحث الثاني : تطور الاختام الاسطوانية عبر العصور المختلفة لحضارة بلاد الرافدين

المطلب الأول: الأختام الأسطوانية في فترة فجر السلالات

المطلب الثاني: الأختام الأسطوانية في الفترة الأكادية

المطلب الثالث: الأختام الأسطوانية في الفترة البابلية

المطلب الرابع: الأختام الأسطوانية في الفترة الآشورية

المطلب الخامس: الأختام الأسطوانية في الفترة البابلية الحديثة (الكلدانية)

خاتمة.

الفصل التمهيدي

الاطار التاريخي و الجغرافي لحضارة بلاد الرافدين

المبحث الأول :الإطار الجغرافي لبلاد الرافدين

المطلب الأول : أصل تسمية بلاد الرافدين

المطلب الثاني : الموقع الجغرافي لبلاد الرافدين

المطلب الثالث : أهمية الموقع الجغرافي في نشوء الحضارات

المبحث الثاني : الإطار التاريخي لبلاد الرافدين

المطلب الأول : أهم حضارات بلاد الرافدين

المطلب الثاني :مظاهر الحياة في حضارة بلاد الرافدين

المطلب الثالث : الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين

مدخل عام: الإطار الجغرافي والتاريخي لحضارة بلاد الرافدين

تعد بلاد الرافدين من أقدم مناطق الحضارة في العالم، وقد لقبت بـ مهد الحضارات لما شهدته من نشوء أولى المدن والأنظمة السياسية والكتابة، تقع هذه المنطقة بين نهري دجلة والفرات، وهو موقع استراتيجي منحها تربة خصبة وموارد مائية غنية سمحت بتطور الزراعة واستقرار الإنسان منذ الألف السادس قبل الميلاد، وقد تعاقبت عليها حضارات كبرى مثل السومرية والأكادية والبابلية والآشورية والكلدانية، والتي أسست دعائم الدولة ونظمت المجتمع وأسهمت في إنجازات علمية وتشريعية تركت أثرا عميقا في التاريخ الإنساني .

المبحث الأول: الإطار الجغرافي لبلاد الرافدين

سنتطرق من خلال هذا المبحث لدراسة الإطار الجغرافي لبلاد الرافدين، من حيث الموقع الجغرافي وأهميته في نشأة الحضارات. [1]

المطلب الأول: أصل تسمية بلاد الرافدين

قبل تحديد الموقع الجغرافي لبلاد الرافدين لابد لنا من أن نعرج على **أصل التسمية**، إذ ظهر في الكتابات اليونانية والرومانية خلال القرنين الرابع والثاني ق.م المصطلح الجغرافي المعروف ببلاد ما بين النهرين، أي التسمية الإغريقية (ميزوبوتامية) (Mesopotamai) وهو المصطلح الذي شاع استعماله عند الكُتَّاب الأوروبيون لإطلاقه على هذه البلاد كلها أو بعضها، ولا يزال يستعمل حتى بعد ذيوع استعمال تسمية العراق، ولعل أقدم وأوضح استعمال لتسمية (ميزوبوتامية) ما ورد في كتاب المؤرخ الشهير (بوليبيوس) (Polybius)(202-120ق.م)، على الرغم من احتمال ظهور استعمال المصطلح في عهد الإسكندر الكبير، وتبع (بوليبيوس) الجغرافي الشهير (سترابو) أو (سترابون) (64 ق.م- 19م) في استعمال هذا المصطلح لإطلاقه على ذلك الجزء من بلاد الرافدين[2]

[1] طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ط1، دار الوراق، بيروت، 2009م، ص24.

[2] أحمد أمين سليم، **دراسات في تاريخ العراق القديم**، (ط1، دار المعرفة الجامعية، 2000م، ص14

المحصور ما بين دجلة[1] والفرات[2] من الشمال إلى حدود بغداد تقريبا أي إنه كان يرادف تقريبا مصطلح الجزيرة الذي أطلقه البلدانيون العرب على القسم الشمالي من وادي الرافدين، أما انتشار استعمال هذا المصطلح الجغرافي من بعد ذلك في اللغات الأوروبية فكان بوجه خاص من بعد ترجمة التوراة إلى اليونانية واللغات الأوروبيون إذ جاء في التوراة ذكر الإقليم المسمى (أرام نهرايم) الذي يعني النهرين أي بلاد ما بين النهرين.

يبدوا أن هناك اختلاف بين الباحثين في أصل تسمية بلاد الرافدين ومعناها، إذ أن هناك من يطلق عليها اسم **عراق** ومعناها الشاطئ واصلها عربي فبلاد الرافدين قريبة من البحر هي عراق، وهي كذلك لأنها شاطئ دجلة والفرات، ومعناها أنها الجبل أو سفوح الجبل[3]، كما أطلقوا عليها أيضا حسب الفترات التاريخية اسم (ماث شوميري)، والتي تعني بلاد سومر، وذلك في اللغة الأكادية[4] .

المطلب الثاني: الموقع الجغرافي لبلاد الرافدين

يقع وادي الرافدين بين جبال زاغروس والهضبة الإيرانية شرقا والصحراء العربية السورية غربا، وبين جبال كردستان شمالا ومياه الخليج العربي جنوبا، وتنحدر الأرض شمالا انحدارا تدريجيا من جبال أرمينية (أورارتو- ارارات) التي ينبع منها دجلة والفرات إلى السهل الذي يمتد اتحادهما إلى حيث

---

[1]- **دجلة:** وردت في النصوص القديمة تحت اسم (دقلات) و(أدجلات) و(حداقل) بالعبرية، ((أرتزاخ) بالحورية، (تبركا) بالفهرية، والتي تعني السهم لسرعة سيره. **أنظر:** سامي سعيد الأحمد، **السومريون وتراثهم الحضاري**، مطبعة الجامعة، بغداد، 1975م، ص24.

[2]- **الفرات:** ويسمى الفرات في اللغة العربية، وهي كلمة مشتقة من الآشورية (بوراتي) ينبع هذا النهر أيضا من تركيا، طوله يصل إلى (2800كم)، وعند البدء يتشكل من تجمعات (كارا سو)، وينجدر مجراه باتجاه الجنوب الشرقي نتيجة مانع أرضي، متجها بشكل نهائي إلى الخليج الفارسي . **أنظر:**جان كلود مارغون، **السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية**، ط1، تر: سالم سليمان العيسى، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1999م،ص16.

[3]- تقي الدباغ وآخرون، **حضارة العراق**، ج1، ط1، دار الجبل، بيروت، 1965م، ص13.

[4]- أحمد أمين سليم، **دراسات في تاريخ العراق القديم ، مرجع سابق**، ص14.

يصبان في الخليج العربي، وتقسم ما بين النهرين إلى منطقتين جغرافيتين مختلفتين هما: ميزوبوتاميا السفلى، وميزوبوتاميا العليا[1].

تمتد بلاد الرافدين من الشمال الشرقي من بلاد العرب، من جبال كردستان شمالا إلى الخليج العربي جنوبا، وتدعى المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات (ما بين النهرين)، وهي ترجمة للاصطلاح الذي أطلقه المؤلفون الكلاسيكيون، اليونانيون والرومان، (ميزوبوتاميا)، وهو ما دعاه الجغرافيون العرب (الجزيرة)، التي تمتد في العراق وشمال سورية، ويطابق اسم (بلاد الرافدين) الاسم الحديث، العراق، الذي يشكل مع سورية القديمة وفلسطين ووادي النيل ما دعاه برستد (الهلال الخصيب)، وقد قامت بين هذه الأقطار منذ فجر التاريخ وبدايات الحضارة صلات يمكن أن ترقى إلى العصور الحجرية أي إلى ما قبل الكتابة واستمرت خلال المراحل المتعاقبة ودون انقطاع[2].

فبلاد الرافدين ذات بموقع استراتيجي وتجاري له أهمية كبرى، فقد كانتهمزة وصل ترجارية لمختلف أقطاب التجارة آنذاك، وتشمل أراضيها مساحات واسعة صالحة للزراعة خاصة في القسم الجنوبي، وتزخر أراضيهابمصادر مائية ضخمة من خلال نهري الدجلة والفرات بصفة خاصة[3] .

المطلب الثالث: أهمية الموقع الجغرافي في نشوء الحضارات

إن للموقع الجغرافي لبلاد الرافدين مكانة مهمة في تاريخ حضارات بلاد الرافدين ونشوئها كونه غني في ثروته الطبيعية ومكانته العسكرية، إذ أن جزئه الشرقي يقع على الجسر الأرضي الذي تلتقي فيه عديد الحضارات القديمة، إذ أن نهري الدجلة والفرات يعتبران شريان الحياة في المنطقة، فإذا كانت مصر هبتها النيل فإن بلاد الرافدين هبته الدجلة والفرات ومن هنا تم تسميتها في بعض المصادر ب(حضارة ما بين النهرين)، إذ يتميز نهر الفرات بأنه أطول من نهر دجلة وأكثر تعرجا حيث يبلغ

---

[1]– برهان الدين دلو، **حضارة مصر والعراق التاريخ الاقتصادي– الاجتماعي– الثقافي والسياسي**، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 1989، ص188.

[2]– محمد حرب فرزات وعيد مرعي، **دول وحضارات الشرق العربي القديم**، ط2، سومر وأكاد، بابل وأشور وأمورو وآرام، دار طلاس، دمشق، 1994م، ص20.

[3]– أحمد أمين سليم، **تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم تاريخ العراق إيران، آسيا الصغرى**، دار المعرفة الجامعية،،بغداد العراق،2000م، ص24.

طوله 2842 كم، كما أنه يمتاز باتساع ضفافه وعمقه، أما بالنسبة لنهر الدجلة فإنه يتميز من ناحية أخرى بكثرة روافده التي تنبع من هضبة إيران، إذ يبلغ طوله 1840 كم، وهو بذلك يتلقى إمدادات كثيرة، ولعل أهم روافده الزاب (الأعلى) الذي يصب في دجلة على بعد 64 كم جنوبي نينوي بالقرب من نمرود، ثم الزاب الأسفل إلى الجنوب من ذلك بحوالي 128 كم، ومن هذه الروافد أيضا نهر ديالى أدت كثرة الروافد وتنوع مصادرها إلى أن أصبحت الفيضانات المفاجئة من المظاهر المميزة لنهر الدجلة[1] .

تميزت بلاد الرافدين بقساوة الطبيعة من خلال فيضان نهري دجلة والفرات، وهبوب الرياح الحارة، وهطول الأمطار المفاجئ، وحالة عدم الانتظام لهذه الظواهر واضطرابها، انعكس على المجتمع الرافدي وأشعره بالضعف ودفعه إلى التدين أكثر، وقد قامت عقيدة المجتمع الرافدي في أطوارها المبكرة على عبادة قوى الطبيعة، التي ما لبث الأفراد إلى تجسيدها على هيئة آلهة، وتصورها على شكل البشر، بثنائية الذكر والأنثى، وعلى رأسها حسبهم الإلهة الأم عشتار، وإله الخصب تموزي[2] .

لقد كان للبيئة وطبيعة المكان في بلاد الرافدين تأثير على تشكيل الحياة الدنيوية بها، إذ تنقسم أرض بلاد الرافدين جغرافيا لجزئين رئيسيين: الجزء الجنوبي وهو سهل كونته ترسيبات النهرين ويتميز بكثرة المسطحات المائية والمستنقعات مما أدى إلى صعوبة الاستقرار فيه بادئ الأمر[3]، أما الجزء الشمالي فهو أكثر ارتفاعا من الجنوب، ويتميز بطبيعة صحراوية جافة، يبعد فيه مجرى دجلة والفرات مما يقلل الرطوبة، وقد ساعدت تلك الطبيعة على قيام دويلات المدن، كانت بيئة بلاد الرافدين بيئة

[1]– بلخير بقة، **أثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية سومر وبابل 3200–539 ق.م**، إش: بلقاسم رحماني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008–2009م، ص13.

[2]– نبيل عبد الحميد عبد الجبار،تاريخ الفكر الاجتماعي،ط1، لندن ،بريطانيا،2010،ص60.

[3]– ميادة كيالي، مكانة المرأة في بلاد وادي الرافدين وعصور ما قبل التاريخ، مؤمنون بلا حدود، قسم الدراسات الدينية، 17 مابو، 2016م، ص06.

غير مستقرة، تملؤها الظواهر المناخية والطبيعية القاسية، فأثرت بذلك على فكر ومعتقدات السكان، فاعتقدوا بتعدد الآلهة[1] .

إن تقدم الحضارة في بلاد الرافدين ارتبط بنهري دجلة والفرات، فكانت الزراعة من أهم الحرف الاقتصادية لسكانها، فازدهرت الحياة وقيام أولى الحضارات البشرية في بلاد وادي الرافدين فإن حضارة أي قطر من حضارة بلاد الرافدين لابد أن تدخل الطبيعة في حسبانها ومن تم تسخيرها في بناء تلك الحضارة وبالأخص ما تمثله حضارة وادي الرافدين ذات التطور المنفرد والمتميز، وما تشكله الحضارة من تفاعل محورين الأول يدور حول الطبيعة والثاني تفاعل الإنسان مع تلك الطبيعة مستغلا إمكانياتها.

المبحث الثاني: الإطار التاريخي لبلاد الرافدين

يعد الإطار التاريخي لبلاد الرافدين نقطة حافلة بالعديد من الأحداث والفترات التاريخية التي تجعل الباحث يقف أمامها، ليبحث فيها وفي ثناياها لمعرفة تاريخ المنطقة بكل تفاصيلها، ولعل من بين تلك الأحداث مروربلاد الرافدين على العديد من الحضارات المختلفة كل حسب زمنها وملوك حكمها، وسياستهم الحربية المعتمدة، كل هذه العوامل وأخرى ساهمت في رقيها وتطورها، ولعل من بين أهم الحضارات التي تعاقبت على بلاد الرافدين ما يذكر .[2]

المطلب الأول: أهم حضارات بلاد الرافدين

1. الحضارة السومرية (2800–1960 ق.م)

يمتد العصر السومري من 3800-1960 ق.م، حيث ظهرت أولى السلالات السومرية التي شكلت أنظمة سياسية في كل مدينة من مدن سومر، ومن أهم مراكز الحضارة في هذه الفترة والتي تسلسلت في الترتيب الزمني متخذة أسماء حديثة، والتي تكشف في أطلالها مخلفات فجر الحضارة في بلاد الرافدين، ولعل من بين هذه الأسماء (ملفعات، جرمو، حسونة سامراء، حلف، أوريدو، العيد وسوس، والوركاء، وجمدة نصر)، وقد تم الكشف في الكثير من المراكز على الآثار من

[1]– محمد عبد اللطيف، **عصور ما قبل التاريخ في العراق القديم**، جامعة الإسكندرية، 1977م، ص13.

[2] عبد الحميد الزايد، **الشرق الخالد (مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور وحتى عام 363 ق.م)**، دار النهضة العربية، ص26

جميع الحضارات السابقة مرتبة بحسب الطبقات كما تم الكشف عن عناصر معمارية ونماذج من النحت وبعض الفنون الأخرى[1].

تقع في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين وتمتد من شمال مدينة الديوانية إلى الخليج العربي حاليا، وهي تشمل حاليا محافظات القادسية، البصرة[2]، ويرى كريمر من خلال كتابه من ألواح سومر أنهم كانوا قوما ليسوا من الأقوام السامية ولغتهم غريبة لا تشبه اللغات السامية ولا يعلم زمن مجيئهم، كذلك يرى أنه يصعب تصنيف اللغة السومرية وإرجاعها إلى إحدى العائلات اللغوية المعروفة الآن، وإذا كان ليس بالإمكان تعداد ميزاتها هنا يذكر بخاصة في اللغة السومرية التي تعرف بالإلصاق Aggluination وأنها في صفتها شبيهة بالعائلة اللغوية المعروفة باسم الأورال طاي[3] .

وقد بدأ عصر فجر السلالات في حوالي 2800ق.م، واستمر لستة قرون والذي يعرف أيضا بالعصر السومري القديم، أو بعصر الدويلات المدن، حيث لم تتوحد البلاد بعد تحت مملكة كبيرة واحدة، ويقسم العلماء هذه الحقبة الزمنية من تاريخ بلاد الرافدين إلى ثلاثة عصور على التوالي وهي: فجر السلالات الأول 2800-2700 ق.م، فجر السلالات الثاني 2700-2600 ق.م، فجر السلالات الثالث 2600-2400 ق.م[4] .

2. الحضارة الأكادية (2360– 2180 ق.م)

ظهرت حضارة أكاد في بلاد الرافدين في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وتعود نشأتها إلى عهد الملك سرجون الأكادي الذي أسس الدولة الأكادية حوالي سنة 2334 ق.م، بعد أن وحد مدن سومر تحت سلطته، وقد اتخذت مدينة أكد عاصمة لها، ورغم أن موقعها لم يكتشف بعد، إلا

---

[1]– عبد الحميد الزايد، **الشرق الخالد (مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور وحتى عام 363 ق.م)، مرجع سابق**،ص26.

[2]– وليد سامح قاسم، **الخليج العربي مهد الحضارات القديمة**، دار الكتب والدراسات العربية، الإسكندرية، 2015م، ص121.

[3]– كريمو صمويل، **من ألواح سومر**، تر: طه باقر، مر: وتق: أحمد فخري، مكتبة المثنى ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد، القاهرة، ص08.

[4]– أسامة عدنان يحي، **تاريخ الشرق الأدنى القديم**، آشور بنيبال، العراق، 2015م، ص07.

أنها وصفت بأنها تقع بين نهري دجلة والفرات شمال مدينة كيش، وتعد الدولة الأكادية أول تجربة إمبراطورية موحدة في تاريخ بلاد الرافدين[1] .

اعتمد الأكاديون على النظام الملكي المركزي المطلق، حيث كان الملك يتمتع بسلطة دينية ودنيوية، وقد حمل سرجون الأكدي لقب (ملك الجهات الأربع)، أي حاكم العالم الموحد وتميز حكمهم بالقوة العسكرية والتنظيم الإداري الصارم الذي سمح بفرض السيطرة على مدن سومر والمناطق المجاورة[2] . كان اقتصاد حضارة أكاد متنوعا، حيث اعتمد بشكل رئيسي على الزراعة فضل تطوير أنظمة الري، كما ازدهرت التجارة التي وصلت إلى الحضارات المجاورة، إضافة إلى ذلك، نشطت بعض الصناعات مثل صناعة الأدوات المعدنية والفخارية والمنسوجات[3] .

ورث اللأكاديون كثيرا من آلهة السومريين، لكنهم أعطو دورا مركزيا للإلهة عشتار (إلهة الحب والحرب)، كان الملك يعتبر ممثلا للآلهة على الأرض، وهو ما منح الحكم طابعا دينيا، كما شيدت المعابد والزيقورات لتكون رمزا دينيا وسياسيا في آن واحد[4] .

ظل الحكم الأكادي قائما يتحدى الأعاصير في ظل حكم سلالة (سرجون) الكريمة التي تجود على العرش برجل قوي الشخصية كل فترة من زمن، يستطيع أن يقف أمامها وأن يحد من خطرها على هذه الإمبراطورية القوية، وقد كانت هذه الأعاصير تهب بين الحين والآخر لتعصف بصرح هذه الحضارة التي كلفت الأكاديين، ملوكا وشعبا بذل الجهود المتواصلة وتقديم الأرواح في سبيل الحفاظ عليها[5]، ولكن شعوب البؤر البشرية الأصيلة والغريبة التابعة بالمقابل، لم تكن أقل سخاء من الأكاديين في التضحية بدماء أبنائها، كلما قامت بثورة ضد الحاكم الأكادي أو الوقوف في مجه جيشه ومنازلته في ساحات القتال، ولذلك كان الثمن أيضا تخريب معابدها ومدنها وتدميرها، وقد كمن في (كرم)

---

[1]– طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، حضارة وادي الرافدين، دار الحرية، بغداد، 1976م، ص148.

[2]– زينب عبد العزيز، **حضارة العراق القديم**، جامعة بغداد، 1981م، ص122.

[3]– طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة** ،مرجع سابق، ص41.

[4]– كريمر، من ألواح سومر، مرجع سابق، ص101.

[5]- توفيق سليمان، **دراسات في حضارات الغرب القديمة من أقدم العصور إلى عام 1190 ق.م (الشرق الأدنى القديم بلاد ما بين النهرين بلاد الشام)**، ط1، دار دمشق، 1985م، ص251.

هذه الشعوب الخطر، الذي هدد بناء الإمبراطورية بالانهيار، ولذلك سرعان ما كانت مداميكه تتداعى بمجرد وفاة الملك الأكادي بل وحتى أحيانا عند بلوغه سن الشيخوخة، وكانت هذه الشعوب، المتحضر منها والبدوي الرحل، تهب معلنة العصيان على السلطة الأكادية ثم الانفصال عن قلب الإمبراطورية، وثم في النهاية انقضاض بعضها على العاصمة أكاد للثأر والانتقام، وكان في مقدمة هذه الشعوب والقبائل العيلاميون والجوتيون والسوبارتيون والعمريون، ولذلك ركز الملوك الأكاديون جهودهم بعد ممات (سرجون) على إعادة إخضاعها لسلطانهم من جديد[1]، ولكن السلالات الحاكمة، شأنها شأن أي كائن حي، تخضع هي أيضا لقانون التطور ونظام الحياة والموت، حيث تجد نفسها بعد حين عاجزة عن تزويد عرش دولتها بالشخص القوي المطلع على شؤون السياسة العامة في الدولة والقادر على اكتشاف مراكز القوى القائمة ومراقبة توازنها وتحليل علاقاتها بعضها ببعض، وعند ذلك تدق ساعة الصفر ساعة الكارثة وتحين لحظة الانهيار السياسي للإمبراطورية والدولة معا[2].

لقد تعاقب ستة ملوك من سلالة سرجون على العرش بعد وفاة الملك (شاركا ليشاري) وشملت فترات حكمهم مددا زمنية مختلفة بلغت ستين عاما، لكن بدلا من أن يلتف هؤلاء إلى حرب الأعداء المتربصين شرا بالإمبراطورية القابعين على حدودها وضمن مناطقها، فإنهم فرطوا بجهودهم في الصراع فيما بينهم ضمن البلاط من أجل الاستئثار بالسلطة، وفي نفس الوقت كان الأعداء ينتظرون حلول الظرف المناسب للانتقام من سلالة (سرجون) والانقضاض على قلب الدولة الأكادية[3] .

3. الحضارة البابلية (1894–612 ق.م)

نشأة الحضارة البابلية في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، بعدما أسس سلالة بابل الأولى الملك سومر أبو حوالي سنة 1894 ق.م، ثم جاء الملك الشهير حمورابي (1792-1750 ق.م)، الذي

---

[1]– توفيق سليمان، **دراسات في حضارات الغرب القديمة من أقدم العصور إلى عام 1190 ق.م (الشرق الأدنى القديم بلاد ما بين النهرين بلاد الشام)**، مرجع سابق، ص251.

[2]– المرجع نفسه، ص251.

[3]– توفيق سليمان، ، **دراسات في حضارات الغرب القديمة من أقدم العصور إلى عام 1190 ق.م (الشرق الأدنى القديم بلاد ما بين النهرين بلاد الشام)**، مرجع سابق، ص140.

تمكن من توحيد معظم مدن بلاد الرافدين تحت سلطته، وجعل من مدينة بابل عاصمة للدولة، وقد أصبحت بابل مركزا سياسيا وثقافيا ودينيا بارزا في المنطقة[1]

تميز النظام السياسي البابلي بالنظام الملكي المطلق، وكان الملك يجمع بين السلطة الزمنية والدينية، يعد الملك حمورابي أبرز الحكام، حيث اشتهر بإصدار شريعة حمورابي، التي تعتبر من أقدم القوانين المدونة في التاريخ، وقد ساهمت هذه الشريعة في تنظيم المجتمع، وضبط العلاقات الاقتصادية والاجتماعية[2] .

ازدهر الاقتصاد البابلي بفضل موقع المدينة التجاري، واعتماده على الزراعة باستخدام نظم ري متطورة، كما كانت بابل مركزا للتجارة الدولية، حيث توافرت إليها القوافل من بلاد الشام والأناضول والخليج العربي، إلى جانب ذلك نشطت الصناعات مثل صناعة النسيج والمعادن والفخار[3] .

كان الدين البابلي استمرارا للتقاليد السومرية والأكادية، مع بروز الإله مردوخ كإله رئيسي للمدينة، حيث اعتبر الحامي لبابل شيد البابليون معابد ضخمة أشهرها برج بابل والزيقورات، كما نظموا مواكب دينية كبرى في رأس السنة البابلية (عيد أكيتو)[4].

كان الحثيون يستوطنون منطقة كبادوكيا في أواسط آسيا الصغرى وأسسوا هناك دولة قوية وتعاظم نفوذهم العسكري، ثم اجتاز أحد ملوكهم المدعو مورشيلي الأول في عام 1530 ق.م، جبال طوروس في مقدمة جيشه فغزا شمال سورية ثم هاجم أواسط بلاد ما بين النهرين واحتل مدينة بابل، وأنهى الوجود السياسي لحكم سلالة حمورابي وعليه سن قانون حمورابي[5] فيها، وهناك من يقول أن

---

[1]– طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج2، مرجع سابق، ص55.

[2]– أ.ل. أوبنهايم، **ماضي العراق**، تر: سليم طه التكريتي، دار الرشيد، بغداد، 1981م، ص121.

[3]– طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج2، مرجع سابق، ص72.

[4]– المرجع نفسه، ص90.

[5]– **حمورابي:** يعد قانون حمورابي أنضج سلسلة القوانين في بلاد الرافدين، لتميزه بالرقي التنظيمي والنضج الفكري، إذ كتب بلغة قانونية دقيقة، وبأسلوب علمي وتشريعي لتنظيم مختلف الحياة، وتكون من 282 مادة، ولقد وصف حمورابي نفسه في القانون بالعابد التقي الورع، الذي يصلي للآلهة العظام بخشوع، ويعمل على إرضائها بتجديد معابدها وتقديم النذور إليها،

الحثيين زحفوا ضد سمسو ديتانا وأرض أكاد، ولكن الحثيين لم يستوطنوا أرض سومر وأكاد كما فعل الجوثيون من قبل، وإنما اكتفوا بتدمير المملكة البابلية بعد أن استولوا على كنوز معابدها وقصورها وعادوا إلى آسية الصغرى مخلفين الحكم في البلاد إلى جماعات من البؤر البشرية الجبلية الأخرى وهي البؤر الكاشية، إذ استأثر الكاشيون وانفردوا بالسلطة في العاصمة البابلية بمساعدة الحثيين[1] .

4. الحضارة الآشورية (1813–609ق.م)

تأسست مدينة آشور[2] 1900 ق.م التي أصبحت فيما بعد عاصمة الحضارة الآشورية، قام الملك شمشي أدد الأول بطرد الأموريين، جعل آشور عاصمة وأمن حدودها[3]، وبذلك أصبحت الإمبراطورية الآشورية بمثابة قوة إقليمية في منطقة بلاد ما بين النهرين في الألفية الثانية ق.م، وتطورت لتصل إلى أوجها في الألفية الأولى ق.م، وتزامن وصول الآشوريين إلى السلطة لأول مرة مع سقوط الإمبراطورية الأكادية، واستقروا في شمال بلاد ما بين النهرين، بينما استقر البابليون في الجنوب، وامتدت الإمبراطورية الآشورية في معظم أجزاء الشرق الأوسط، واحتلت في الفترة بين الأعوام 1360-1074 ق.م جميع منطقة ما بين النهرين ومصر وبلاد بابل وفلسطين وقبرص[4].

يمكن القول حسب الكتابات التاريخية القديمة أن الحضارة الآشورية تقع في الجزء الشمالي من بلاد الرافدين، الذي يغطي اليوم معظم العراق الحديثة وأجزاء من إيران والكويت وسوريا وتركيا، وكان يحدها كل من شرق سوريا وجنوب شرق الأناضول، كما كان نهر دجلة ويجري عبرهما، كانت سلسلة

ببوصفه الملخص لسكان بلاد الرافدين من الظلم والاضطهاد، وإنه جاء لينشر الحق والخير لهم، ويرسل النور إلى بلاد سومر وأكد. **أنظر**: محمد طه محمد الأعظمي، **حمورابي 1792–1750 ق.م**، ط1، العراق، بغداد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1990م، ص140.

[1]– توفيق سليمان، ، **دراسات في حضارات الغرب القديمة من أقدم العصور إلى عام 1190 ق.م (الشرق الأدنى القديم بلاد ما بين النهرين بلاد الشام)**، مرجع سابق،ص251.

[2]– **آشور**: إقليم كبير ينبع من آسيا تعرف اليوم بناحية كردستان تخترقه أنهار أربعة أهمها دجلة وبالنسبة لبلاد آشور في شمالي العراق فظهرت فيها أقدم العصور، وتأسست فيها مملكة آشور. **أنظر**: جميل أفتدي المدور، نخلة المدور، **تاريخ بابل وآشور**، تصحيح: إبراهيم اليازجي، بيروت، 1879م، ص22.

[3]– ساكر، هاري، **عظمة بابل**، (د.ط)، تر : عامر سليمان، الموصل، 1969م، ص610.

[4]– عامر سليمان، **المدرسة العراقية في دراسة تاريخنا القديم**، (د.ط)، الموصل، 2009م، ص81.

جبال زاغروس تحد الإمبراطورية من جهتي الشمال والشرق، وكانت حدودها مع الصحراء في الغرب والجنوب[1] .

ساد نظام الحكم الملكي في الحضارة الآشورية، كما هو الحال في جميع الحضارات الأخرى في بلاد ما بين النهرين، وكان يعتقد أن الإله هو من يختار الملك، ومده بالقوة لحكم الشعب الآشوري[2]، واعتبر الآشوريون ملوكهم ممثلين للآلهة على الأرض، وكانوا يتولون مهام تشريع القوانين والإدارة العامة للإمبراطورية وقيادة الجيش الآشوري، إذ كان بلاط الملك في الإمبراطورية الآشوري يضم الوزراء والخدم، إلى جانب مسؤولي القصر الذين يديرون شؤون القصر الملكي والأراضي والمباني الملكية الأخرى، وكان لسان الآشوريون اللغة الأكادية التي تعتبر إحدى اللغات السامية التي انتشرت في بلاد ما بين النهرين من الألفية الثالثة إلى الألفية الأولى قبل الميلاد، أما بالنسبة للديانة المنتشرة في المملكة الآشورية، فقد كان آشور المعبود الرئيسي عندهم وإله الحرب، وقد ارتقى من كونه إلها محليا في مدينة آشور ليصبح إله الإمبراطورية الآشورية، وعشتار آلهة الحب والحرب، شماش كان إله الشمس والحقيقة والعدالة، وكان مسؤولا عن حفظ النظام في الكون[3] .

5. الحضارة الكلدانية (626-539 ق.م)

انطفأت شعلة الدولة الآشورية في أواخر القرن السابع ق.م على أيدي الجيوش الميدية والكلدانية، وطوي بذلك عصر الهيمنة الآشورية وبرز على مسرح الأحداث أقوام عرفوا بالكلدانيين، وهم فرع من الشعوب الآرامية التي نزحت من شبه الجزيرة العربية، ويتفق الباحثون على تسمية فترة حكم السلالة الكلدانية في منطقة بابل بالعصر البابلي الحديث التي حققت في ظلها مدينة بابل أعظم شهرتها، وقد عثر علماء الآثار خلال هذه الفترة على الكثير من النصوص المسمارية التي ساعدت في دراسة التاريخ السياسي والحضاري لبابل، ولعل ظهور الكلدانيين على مسرح الأحداث،

---

[1]- عامر سليمان، **المدرسة العراقية في دراسة تاريخنا القديم** ،مرجع سابق، ص81.

[2]- عبد الله يوسف خلف، **الجيش والسلاح في العهد الاشوري الحديث**، رسالة ماجستير، بغداد، 1977م، ص93.

[3]- الجابر وليد، **المناصب والأزياء العسكرية الآشورية**، الجيش والسلاح، ج2، (د.ط)، 2009م، ص ص227، 265.

كان بشكل واضح بعد وصول (نبوبلاصر) سدة الحكم في بابل بعد أن عينه (آشور بنيبال)، وفي وقت سابق واليا على إقليم بابل[1].

خلال تدهور الأوضاع في القسم الجنوبي من بلاد العراق، والوهن السياسي والعسكري الذي أصاب قوة آشور أعلن (نبوبلاصر) نفسه حاكما على جنوب العراق، معلنا الانفصال عن الإمبراطورية الآشورية، وقد ورثت الدولة البابلية الحديثة التي أسسها نبوبلاصر أقاليم واسعة كانت إلى زمن قريب تابعة لبلاد آشور، كما لعبت دورا بارزا في تاريخ الشرق الأدنى القديم في القرن 6 ق.م خاصة في عهد الملك نبوخذ نصر، الذي أعاد رسم خريطة المنطقة وفقا لمنطق الغلبة والتسلط[2] .

المطلب الثاني: مظاهر الحياة في حضارة بلاد الرافدين

شهدت بلاد الرافدين نشوء العديد من أعرق الحضارات الإنسانية التي تميزت بتنوع مظاهر الحياة فيها، فقد عرف سكانها الزراعة بفضل وفرة المياه وخصوبة التربة، مما ساعد على الاستقرار وتطور المدن، كما برعوا في العمران وبناء المعابد وغيرهم، ونظموا حياتهم الاجتماعية وفق طبقات واضحة بين الحكام والكهنة والجنود والعمال، كما تركوا بصمات عديدة في الكثير من المجالات المختلفة، والتي سنوردها كالآتي:

أولا: المظاهر السياسية والعسكرية

تكون النظام السياسي في دويلات صغيرة سميت (دويلات المدن) لكل منها أسرة حاكمة، حيث كان الحكام يطمعون في الأراضي المجاورة ليكونوا إمبراطورية واسعة، والإله المعبود في حضارة بلاد الرافدين في العصر القديم يعد هو حاكم المدينة الحقيقي والملك وهو وكيله في حكم البلاد.

[1]– مهني مجيد، بشاري محمد الحبيب، **التهجير البابلي لليهود رؤية في الأحداث والنتائج**، مجلة المعيار، مجلد 25، عدد60، 2021، ص878.

[2]– المرجع نفسه،ص878.

كانت الخدمة العسكرية إلزامية وإجبارية أيام الحرب حتى أتى العهد الأشوري فأصبحت الجيوش دائمة، امتاز الجيش في بلاد الرافدين بالقوة في القتال والتطور في فن الحرب، فحققوا بذلك انتصارات كثيرة وأقاموا إمبراطوريات واسعة في عهد ملوكها الأقوياء[1] .

ثانيا: المظاهر الفكرية

1. الكتابة: اخترع السومريون شكلا خاصا من الكتابة عرفت باسم المسمارية، وسميث بالمسمارية لأن كل علامة تشبه شكل المسمار، وكانت تكتب بأقلام من الخشب بضغط بها على ألواح من الطين الطري، واستخدموها لتدوين الوثائق والسجلات، وكانت الكتابة في البداية عبارة عن صور لأشياء مادية ملموسة (صور ملوك، حيوانات، الأدوات التي يستعملوها في حياتهم اليومية)، ثم تطورت إلى علامات صوتية (رموز) يحفظها الطفل عند دخوله المدرسة استعدادا لتلقي مختلف العلوم والمعرفة في عهدهم[2].

2. الأدب: ترك لنا سكان بلاد ما بين النهرين تراثا من الأدب حوى نقوشا تاريخية ونصوصا دينية وقصصا وأساطير، من أشهر الأساطير الدينية التي ظهرت في عهد السومريين قصة جلجامش .

3. العلوم: برع العراقيون القدماء في العديد من العلوم كالحساب (احتوت بعض الألواح الطبنية التي تم اكتشافها في بلاد الرافدين على جداول الضرب، وحساب المربعات، الجذور التربيعية والتكعيبية)، والفلك حيث رصدوا النجوم والكواكب ووضعوا تقويما شمسيا كاملا، واهتموا كذلك بالطب والهندسة[3]

ثالثا: المظاهر الاقتصادية

1. الزراعة: اعتمدت الحياة في بلاد الرافدين على الزراعة بالدرجة الأولى، وهذا نظرا لتوفر نهري الدجلة والفرات، ومن أجل ذلك اهتم الملوك بشق القنوات في أنحاء البلاد لتحميل مياه النهرين لري

---

[1]– حفيظة محلب، **مظاهر حضارة بلاد الرافدين**، مقياس: تاريخ الحضارات، جامعة التكوين المتواصل، 2016–2017م، ص02.

[2]– المرجع نفسه، ص02.

[3]– المرجع نفسه، ص03.

الحقول، ولقد فرض حمورابي عقوبات على كل من يهمل وسائل الري أو يلحق بها ضرر، ومن أهم المحاصيل الزراعية هي: الحبوب كالذرة والقمح والشعير والتمور والفواكه المختلفة والخضروات والسمسم والزيتون، كما اهتموا بالتربية الحيوانية وبخاصة الأغنام والجاموس والخيل، أما عن الأدوات التي استخدمها السوماريون في الزراعة فؤوس من الحجر لحرث الأرض، وبعد مدة ظهر المحراث الخشبي الذي تجره الحيوانات والمناجل الحجرية والمعدنية[1] .

2. الصناعة: اشتهر سكان بلاد الرافدين قديما بالكثير من الصناعات إذ أنتوافر المواد الأولية للصناعة ساعد على قيام صناعات متنوعة في بلاد الرافدين، من أهمها: صناعة المنسوجات، صناعة الأدوات والأواني الفخارية والخزفية، كما عرفوا صناعة الزجاج والأثاث المنزلي والفخار، كما صنعت الحلي وأدوات الزينة من الذهب والفضة صناعة الأسلحة التي بلغت ذروتها في العصر الأشوري ومن أبرزها: آلات الحصار المصنوعة على هيئة أبراج خشبية مربعة تسير على عجلة وفي مقدمتها قطعة خشبية سميكة أو معدنية مخصصة لاقتحام الأسوار.

3. التجارة: كان لموقع بلاد الرافدين أثر الواضح في نشأة التجارة الخارجية وتطورها وازدهارها، فهو يقع عند ملتقى الطرق التجارية الرئيسية، ولقد جلبت الأحجار الكريمة واللؤلؤ والزيوت من الخليج العربي، والعقيق والبخور من اليمن والفضة من بلاد السند وآسيا الصغرى (الأناضول) والأخشاب من بلاد الشام، أما عن عملية التبادل التجاري فقد تمت على المقايضة ثم استخدمت سبائك الفضة في العمليات التجارية إلى أن ظهرت النقود، وبلغت أوجها في عهد البابليين، حيث كانت بابل المركز التجاري الذي تصله تجارة المغرب والمشرق، ونشطت الرحلات التجارية إلى بلاد الهند وفارس وآسيا الصغرى وبلاد الشام ومصر، وعرفوا المكاييل والأوزان[2] .

---

[1]– آسيا ساحلي، **حضارة بلاد الرافدين (المجتمع والعلوم والاقتصاد)**، جامعة 20 أوت 1955م، سكيكدة،2018–2019م، ص04.

[2]– المرجع نفسه،ص04.

رابعا: المظاهر الاجتماعية

انقسم المجتمع في بلاد الرافدين قديما إلى ثلاث طبقات: **الطبقة العليا** والتي تشمل الملك وأعوانه وكبار رجال الدولة ورجال الدين وأصحاب الشأن من النبلاء، **والطبقة المتوسطة** التي تشمل الموظفين وصغار ضبا الجيش والجنود، والصناع والتجار، **طبقة العبيد** يتكونون من أسرى الحرب أو من يستدينون ولا يستطيعون وفاء بديونهم بسبب الفقر أو ممن يجلبون ويباعون بعد اختطافهم من موطنهم الأصلي، أما من عادات وتقاليد سكان بلاد الرافدين قديما **القرابين** كان سكان بلاد الرافدين قديما يتقربون من الآلهة لنيل رضاها بتقديم القرابين والتي تتمثل في ذبح الحيوانات من أغنام أبقار، ماعز وخيول، وشملت القرابين أيضا تقديم الملابس والمنسوجات الحلي والجواهر والطعام[1] .

المطلب الثالث: الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين

لقد عبر سكان بلاد الرافدين عن نزعتهم الدينية من خلال ما خلفوه من أدلة أثرية ومنشآت ذات صبغة دينية خلال عصور ما قبل التاريخ، كان من أهمها: (المعابد الكهفية، مقاصير العادة المنزلية[2]، معابد الآلهة أو المزارات، الثولوث، الزقورات)[3] .

لم يعتقد سكان بلاد ما بين النهرين بالبعث والخلود بالنسبة للبشر مثل قدماء المصريين، لذا اهتموا بالحياة الدنيا، ولم يؤمنوا بالخلود والأبدية إلا للآلهة فقط، ومن ثم تركز اهتمامهم على منازل الآلهة أي المعابد[4] .

---

[1]– آسيا ساحلي، **حضارة بلاد الرافدين (المجتمع والعلوم والاقتصاد)**، مرجع سابق، ص04.

[2]– **مقاصير العبادة المنزلية:** المقصود بمقاصير أو محاريب العادة المنزلية وهي عبارة عن غرف صغيرة توجد ضمن الوحدات السكنية تحتوي على عناصر معمارية أو فنية يستدل منها على استخدام وظيفي ديني للمكان خلال العصر الحجري الحديث. **أنظر:** زينب عبد التواب، رياض خميس، **نشأة وتطور المعابد في بلاد الرافدين خلال عصور ما قبل التاريخ**، مجلة التراث، مجلد التاسع، العدد 03-23، ديسمبر 2019م، ص286.

[3]– المرجع نفسه، ص285.

[4]– رشيد الناضوري، **المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا، الكتاب الثالث، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني**، بيروت، 1976م، ص46.

تعتبر عبادة الظواهر الطبيعية (المطر، الريح، الخصب، الشمس، القمر ...وغيرها)، من أولى المعتقدات الدينية في العالم القديم وأولى المعبودات التي اعتنقتها المجتمعات البشرية، ولها علاقة بالزراعة وكانت على هيئة آلهة تمثل الأرض والخصوبة والظواهر الطبيعية ذات العلاقة بالزراعة، ولعل من بين أبرز المعتقدات الدينية قديما **مبدأالشرك** ونقصد به تعدد الآلهة عند العراقيين القدماء، فقد عبدوا العديد من الآلهة وسجلت أسماءها في جداول خاصة، وأوضحوا علاقة بعضها ببعض فهناك الإله (أنو) إله السماء، والإله (أنليل) إله الهواء، والإله (أنكي أيا) إله المياه، والآلهة (عشتار) رمز الحب والحرب، وآلهة أخرى للظواهر الطبيعية إله (الشمس) الذي يرمز للعدل، وإله القمر (سين) الذي يرمز للحكمة، كما اعتقدوا أن لكل إنسان إلها خاص به أطلقوا عليه الإله (الحامي)[1].

[1]– الخامسة علاوي، **محاضرات مقياس تاريخ الحضارة الإنسانية**، جامعة منتوري، قسنطينة 1، (د.ت.ن)، ص05.

الفصل الأول

ماهية الأختام الأسطوانية ونشأتها في بلاد الرافدين

المبحث الأول : التعريف العام للأختام الأسطوانية

المطلب الأول : مفهوم الأختام الأسطوانية .

المطلب الثاني: الاختام الاسطوانية ما قبل فجر السلالات.

المبحث الثاني: مواد وتقنيات صناعة الأختام الأسطوانية

المطلب الأول : المواد المستخدمة في صناعة الأختام.

المطلب الثاني: أدوات وأساليب صناعة الأختام.

المبحث الأول : التعريف العام للأختام الأسطوانية

تُعدُّ الأختام الأسطوانية من أبرز المخلفات الأثرية في حضارة بلاد الرافدين، إذ ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالممارسات الإدارية والاقتصادية والدينية، وشكّلت أداةً لا غنى عنها في حياة الفرد والمجتمع. ومن هنا، فإن ضبط مفهومها اللغوي والاصطلاحي يُعدُّ خطوةً أولية وأساسية لفهم أبعادها الوظيفية والرمزية. فالتعريف اللغوي يكشف عن الجذر الدلالي لمفهوم "الختم"، في حين أنّ التعريف الاصطلاحي يوضح الإطار المفاهيمي الذي اعتمده الباحثون لتوصيف هذه الأداة الأثرية.[1]

المطلب الأول : مفهوم الأختام الأسطوانية

1. الختم لغة:

من الناحية اللغوية، يُشتق مصطلح "الختم" من الجذر "خَتَمَ" الذي يدل على الإغلاق والإنهاء، ومنه قولهم "ختم الكتاب" أي أغلقه ووضع عليه علامة مميزة. وقد استُخدم المصطلح للدلالة على العلامة التي تَثبت على الأشياء لإحكامها أو تمييزها. ومع انتقال المصطلح إلى حقل الدراسات الأثرية، أُضيفت إليه صفة "الأسطوانية" لتمييز هذا النوع من الأختام عن غيره من الأختام المسطحة أو الخواتم المعدنية.[2]

2. الختم في النصوص الرافدينية

في نصوص بلاد الرافدين القديمة، استُخدم مفهوم الختم بأبعاد متشعبة. فقد أشار السومريون والأكديون إلى الأختام بكلمات دالة على الملكية أو السلطة، حيث ارتبطت الأختام بالأشخاص النافذين والكهنة والملوك. وكانت وظيفة الختم في هذه النصوص أداة لإثبات الشرعية أو ضمان الصدقية، وهو ما يتقاطع مع المعنى اللغوي العربي الذي يربط الختم بالإغلاق والتوثيق.[3]

وعرف الختم في اللغة السومرية بالصيغة الاسمية(كيشب)(KISIB) وتسبقه العلامة الدالة على الاحجار(NA4)، في حين ورد ذكر الختم في اللغة الأكدية بصيغة كونوكو(KUNKKU) ويرادف المصطلح السومري الكلمة الاكدية (kisibbu) التي تعطي المعنى نفسه ، وفي العصر البابلي القديم كان يشار للختم أحيانا بالعلامة السومرية الدالة على الأحجار (NA4) فقط ، أما

[1] محمد علي أبو شحمة، الأختام الأسطوانية مصدرا من مصادر دراسة تاريخ بلاد الرافدين، مجلة كلية الآداب، جامعة مصراتة، العدد 20، 2017، ص338.

[2] محمد بهجت قبيسي، معجم المصطلحات الأثرية والحضارية، دار الفكر، بيروت، 2005، ص112

[3] فوزي رشيد، الحياة الاقتصادية في العراق القديم، دار الحرية، بغداد، 1980، ص74.

في العصرين الآشوري والبابلي الحديث فقد أستعمل مصطلح (SID) أو (IM.SID) للإشارة إلى الختم.[1]

بدأ مصطلح "الأختام الأسطوانية" بالظهور في الدراسات الأثرية العربية مع ازدياد الاهتمام بآثار العراق القديم في القرن العشرين، حيث تبنّى الباحثون العرب المصطلح الأوروبي (cylinderseals) مع ترجمته الحرفية إلى العربية. وسرعان ما أصبح هذا المصطلح معيارياً في الأدبيات الجامعية والبحثية، لا سيما مع نشر الأطالس والموسوعات الخاصة بآثار الشرق الأدنى القديم.[2]

3- الختم اصطلاحا :

اصطلاحًا، تُعرف الأختام الأسطوانية بأنها أدوات صغيرة ذات شكل أسطواني، منقوشة بنقوش دقيقة غالبًا ما تُظهر مشاهد أسطورية أو دينية أو حياتية، وتُستخدم بالدحرجة على الطين الرطب لإنتاج انطباعات مكررة. هذا التعريف الاصطلاحي يجمع بين العناصر الشكلية (الأسطوانة والنقوش) والعناصر الوظيفية (إحداث الانطباع على الطين).[3]

ومن الناحية الوصفية الدقيقة، يمكن تعريف الختم الأسطواني بأنه أسطوانة صغيرة الحجم يتراوح طولها غالبًا بين 2 و6 سم، وقطرها بين 0.8 و2 سم، مصنوعة من الحجر الصلب أو مواد أخرى، محفور على سطحها الخارجي نقوش وزخارف أو كتابات، وتُستخدم بالدحرجة على الطين أو الشمع لترك أثر متكرر.[4]

وقد لاحظ الباحثون أن أبعاد الأختام الأسطوانية لم تكن موحدة، بل تنوعت باختلاف العصور والوظائف؛ ففي الفترات الإدارية المبكرة، كانت الأختام تميل لأن تكون أطول نسبيًا لضمان مساحة أكبر للنقش، بينما كانت الأختام الشخصية والزخرفية أصغر حجمًا لسهولة حملها وارتدائها كقلادة.[5]

تُبرز التعريفات الاصطلاحية الجانب الإجرائي للأختام الأسطوانية، إذ اعتُبرت أداة رئيسية لتوثيق المعاملات الإدارية والاقتصادية، مثل تسجيل البضائع، وإثبات العقود، وضبط المستودعات. فكانت البصمة الناتجة عن الختم بمثابة توقيع رسمي يضفي الشرعية على الوثيقة أو العملية التجارية.[6]

---

[1] ليث ياسر خضير السامرائي ، أختام أسطوانية غير منشورة من المتحف العراقي "دراسة تحليلية فنية"،مجلة الملوية للدراسات الأثارية والتاريخية ، مج 12، عدد40،جامعة سامراء ، 2025، ص507.

[2] عامر سليمان، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الكتب للطباعة، الموصل، 1989، ص221.

[3] طه باقر، مقدمة في تاريخ العراق القديم، دار الحرية، بغداد، 1973، ص94.

[4] رشيد، مؤيد سعيد، الأختام الأسطوانية في العراق القديم، مرجع سابق، ص10.

[5] ثليجي أحمد، الاختام الأسطووانية وأهميتها في التأريخ لحضارة بلاد الرافدين، دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 15، عدد3، جويلية 2023، ص386.

[6] هاري ساكز، حضارة بابل وآشور تر، سليم طه التكريتي، وزارة الإعلام، بغداد،1985، ص55.

من الناحية الرمزية، حملت الأختام الأسطوانية دلالات دينية واجتماعية عميقة، حيث مثّلت النقوش مشاهد الآلهة والطقوس والشعائر، إضافةً إلى كونها تمائم شخصية تلازم أصحابها. وهكذا تجاوزت الأختام وظيفتها التقنية لتصبح رمزًا لهوية الفرد ومكانته الاجتماعية والدينية.[1]

يُميز الباحثون بين ثلاثة مفاهيم مترابطة: (أ) الختم بوصفه أداة مادية (الأسطوانة المنقوشة)، (ب) الانطباع بوصفه الأثر الناتج على الطين، و(ج) النقش باعتباره التقنية الفنية التي نُفِّذت على الأداة. هذا التمييز أساسي في الدراسات الأكاديمية لأنه يمنع الخلط بين الأداة والأثر الناتج عنها[2].

اعتمد الباحثون على التعريف الاصطلاحي للأختام الأسطوانية لتصنيفها ضمن مجموعات زمنية وفنية، وتحديد أدوارها في الأنظمة الاقتصادية والدينية. وقد أسهم هذا التعريف في بناء منهجية واضحة لدراسة الأختام بوصفها مصادر أولية لإعادة بناء تاريخ العراق القديم.[3]

يتضح مما سبق أن التعريف اللغوي يضع الأساس الدلالي لمفهوم "الختم"، بينما يقدّم التعريف الاصطلاحي الإطار المفاهيمي الذي يوجّه البحث العلمي. ومن ثَمَّ، فإن الجمع بين التعريفين يمنح الباحث أداةً تحليلية متكاملة لفهم الدور المزدوج للأختام الأسطوانية: أداة للتوثيق وأداة للرمز. وهذا التحديد يساعد في ربط الأختام بالأنساق الإدارية والفنية والاجتماعية لحضارة بلاد الرافدين.[4]

المطلب الثاني: الاختام الاسطوانية ما قبل فجر السلالات

1- الأختام الاسطوانية في عصر الوركاء:

تُعَدُّ فترة أوروك من أبرز المراحل في تاريخ حضارة بلاد الرافدين، إذ شهدت هذه الحقبة تطورات جوهرية على الصعيدين الاجتماعي والفني. ويُنظر إليها باعتبارها العصر الذي تبلورت فيه الملامح الأولى للمدنية الحضرية، من خلال نشوء المدن الكبرى، واتساع التنظيم الإداري، وظهور الكتابة المسمارية. وفي خضم هذه التحولات، برزت الأختام الأسطوانية كابتكار فني ووظيفي بالغ الأهمية، حيث ارتبط استعمالها بتعزيز البنية الاقتصادية والسياسية والدينية لمجتمع أوروك.[5] (**انظر الملحق رقم (01**

[1] زهير كاظم عبود، الفن في العراق القديم، دار الشؤون الثقافية ،بغداد، 1990، ص67.
[2] فاروق إسماعيل، قراءات في حضارة العراق القديم، جامعة بغداد ،بغداد، 1995، ص143.
[3] خالد العاني، موجز تاريخ حضارة وادي الرافدين، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، 1998، ص201.
[4] سامي سعيد الأحمد، موجز تاريخ العراق القديم، دار الشؤون الثقافية ،بغداد، 1990، ص157.
[5] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، دار الحرية ،بغداد، 1973، ص 112.

وقد ارتبطت هذه الأختام بدايةً بمؤسسات المعبد، التي كانت تشكل الركيزة الأساسية للتنظيم الاجتماعي والاقتصادي، إذ استخدمت لختم المخازن وتوثيق المعاملات التجارية وتحديد ملكية السلع. كما شكّلت وسيلةً لحماية السجلات وضمان المصداقية في المبادلات.[1]

اتخذت الأختام الأسطوانية في فترة أوروك أشكالاً فنية وزخرفية تعكس روح المرحلة. فقد نُقشت عليها مناظر دينية واقتصادية، أبرزها مشاهد الآلهة، والكهنة، والولائم الطقسية، إضافة إلى مناظر الحياة اليومية التي ارتبطت بالإنتاج الزراعي وتربية الحيوانات.[2]

وتُظهر هذه المناظر مدى تعقيد الحياة الاجتماعية والدينية في تلك الفترة، حيث لعبت الرموز دوراً في ترسيخ السلطة الدينية والسياسية على حد سواء. كما أن انتشار الأختام ارتبط بازدياد الحاجة إلى أدوات توثيق وضبط للأنشطة الاقتصادية مع توسع التجارة الداخلية والخارجية، خصوصاً وأن أوروك كانت مركزاً تجارياً نشطاً، يتبادل السلع مع مناطق بعيدة مثل عيلام والأناضول وبلاد الشام.[3]

تميزت الأختام الأسطوانية في أوروك أيضاً بجودة تقنيات النحت المستخدمة. فقد استُخدمت أدوات معدنية دقيقة لنقش تفاصيل دقيقة على الحجر، مما سمح بإنتاج مشاهد غنية بالتفاصيل.[4]

وكانت الأحجار المستخدمة متنوعة، مثل العقيق الأحمر (الكارنيليان)، والحجر الجيري، واللازورد المستورد من أفغانستان، ما يعكس اتساع شبكات التجارة. ولم يكن اختيار المواد عشوائياً، بل ارتبط غالباً بدلالات رمزية ودينية؛ فاللازورد مثلاً اعتُبر ذا قدسية خاصة.[5]

وتكشف دراسة الأختام أن الصانعين امتلكوا مهارات عالية، مما يؤكد وجود طبقة متخصصة من الحرفيين المرتبطين بالمؤسسات المعبدّية والملكية.

كان للأختام الأسطوانية أيضاً بُعد رمزي مهم، إذ عكست السلطة الدينية والسياسية في المجتمع. فقد كانت الأختام وسيلة لبيان الانتماء إلى مؤسسة معينة، مثل المعبد أو القصر، وبالتالي فقد حملت وظيفة توثيقية ورمزية في آن واحد.[6]

كما ارتبطت بعض النقوش بمعتقدات أسطورية، مثل تمثيل الإلهة إنانا كرمز للخصب والقوة، إلى جانب صور الحيوانات الأسطورية التي تعكس تصور أهل أوروك للعالم الغيبي.[7]

---

[1] فوزي رشيد، تاريخ العراق القديم، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، 1986، ص 67

[2] عامر سليمان، تاريخ حضارات العراق القديمة، دار الكتب للطباعة، الموصل، 1985، ص 89.

[3] بهنام أبو الصوف، ملامح من تاريخ وحضارة العراق القديم، دار الحرية، بغداد، 1984، ص 54

[4] عبد القادر حسن، الفن في العراق القديم، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، 1988، ص 33.

[5] عبد السلام طه، حضارة العراق القديم" دراسات في التاريخ والآثار"، دار الحرية ،بغداد، 1979، ص 102.

[6] سليم مطر، ملحمة الوركاء"جذور الحضارة في العراق القديم" ، دار المدى ، بغداد، 2000، ص 47.

[7] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، مرجع سابق ، ص 118.

لقد مثّل انتشار الأختام الأسطوانية خلال فترة أوروك خطوة أولى نحو تكوين نظم بيروقراطية متطورة. إذ استخدم الكهنة والموظفون هذه الأختام في المعاملات الرسمية، مما ساعد على حفظ السجلات وضمان الشفافية.[1]

يمكن القول إن الأختام كانت بمثابة «توقيع شخصي» يعكس مكانة الفرد أو المؤسسة، ومن ثمّ فإنها سبقت فكرة التوقيع الحديث في توثيق العقود والمعاملات. وتشير الدراسات الأثرية إلى أن الأختام الأسطوانية لم تقتصر على أوروك وحدها، بل انتشرت تدريجياً في مدن أخرى، ما يعكس نفوذ هذه المدينة على محيطها الحضاري.[2]

عند مقارنة الأختام الأسطوانية في فترة أوروك بمثيلاتها في الفترات اللاحقة، نجد أنها كانت أكثر بساطة في بعض جوانبها، لكنها وضعت الأساس للمدارس الفنية التي تلتها.[3]

فقد ظهرت في هذه الفترة الملامح الأولى للأسلوب التصويري الذي سيستمر ويتطور في عصور جمدة نصر وفجر السلالات. وهذا يثبت أن فترة أوروك كانت حقبة تأسيسية، ليس فقط على مستوى العمران والكتابة، بل أيضاً في تطور الفنون والرموز البصرية.[4]

كما لعبت الأختام دوراً تعليمياً وثقافياً؛ إذ شكّلت وسيلة لنقل القيم الدينية والاجتماعية من جيل إلى آخر. فالمناظر المنقوشة لم تكن مجرد أشكال فنية، بل حملت رسائل رمزية تتعلق بالخصب، والنظام الكوني، ودور الإنسان في خدمة الآلهة.[5]

وقد يكون لهذه النقوش أثر في صياغة الميثولوجيا الرافدينية التي تجلت لاحقاً في الأساطير الكبرى مثل «ملحمة جلجامش».[6]

إن الأهمية الاقتصادية للأختام في فترة أوروك لا يمكن تجاهلها، إذ ساعدت على تنظيم عمليات التبادل التجاري. فكل ختم كان بمثابة هوية لصاحبه أو مؤسسته، يُطبع على الأواني الطينية والأبواب والخزائن.[7]

[1] عامر سليمان، تاريخ حضارات العراق القديمة، مرجع سابق ، ص 92.
[2] فوزي رشيد، تاريخ العراق القديم، مرجع سابق ، ص 74.
[3] عبد السلام طه، حضارة العراق القديم، مرجع سابق ، ص 110.
[4] بهنام أبو الصوف، ملامح من تاريخ وحضارة العراق القديم، مرجع سابق ، ص 60.
[5] سليم مطر، ملحمة الوركاء: جذور الحضارة في العراق القديم، مرجع سابق ، ص 53.
[6] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، مرجع سابق ، ص 121.
[7] فوزي رشيد، تاريخ العراق القديم ،مرجع سابق ، ص 80.

وبذلك تحوّل الختم إلى أداة لضبط العلاقات الاقتصادية وضمان مصداقيتها. ومن هنا نلاحظ أن الأختام الأسطوانية شكّلت مع الكتابة المسمارية لاحقاً ثنائياً أساسياً في بناء الإدارة الاقتصادية للدولة الرافدينية المبكرة.[1]

لقد أثبتت المكتشفات الأثرية في مواقع مثل الوركاء وأوروك الشمالية وجود عدد كبير من الأختام، مما يدل على انتشار استخدامها بشكل واسع.[2]

كما عُثر على أختام في مناطق بعيدة، ما يثبت وجود علاقات تجارية واسعة النطاق، ويمثل هذا دليلاً مادياً على أن الأختام لم تكن مقتصرة على الدائرة الدينية، بل امتدت إلى ميادين التجارة والعلاقات الخارجية.[3]

خلاصة القول، إن فترة أوروك مثّلت مرحلة حاسمة في تاريخ الأختام الأسطوانية ببلاد الرافدين، إذ برزت فيها لأول مرة بشكل واسع ومنظم. وقد جمعت بين الوظيفة العملية والفنية والرمزية، مما جعلها أداة فريدة تعكس روح الحضارة الرافدينية في بداياتها.[4]

وقد استمرت تأثيراتها في الفترات اللاحقة، لتصبح جزءاً أصيلاً من التراث الحضاري للعراق القديم[5].

2. الأختام الأسطوانية في فترة جمدة نصر

تُعَدُّ فترة جمدة نصر (3100–2900 ق.م) من أهم المراحل الانتقالية في تاريخ بلاد الرافدين، إذ مثّلت نقطة التحول بين مرحلة الوركاء المتأخرة وبداية عصر فجر السلالات. وقد سُمّيت بهذا الاسم نسبةً إلى موقع جمدة نصر الواقع شمال شرقي مدينة كيش، حيث كُشف عن طبقات أثرية غنية بمواد فخارية مميزة ونماذج من الأختام الأسطوانية.[6]

تتسم هذه المرحلة بظهور ملامح أولى للأنظمة الإدارية والاقتصادية المتطورة، كما عرفت بدايات الاستعمال المنظم للكتابة المسمارية، مما أوجد بيئة ملائمة لانتشار الأختام الأسطوانية كأدوات توثيق وضبط للأنشطة اليومية.[7]

[1] عامر سليمان، تاريخ حضارات العراق القديمة، مرجع سابق ، ص 97.
[2] عبد القادر حسن، الفن في العراق القديم، مرجع سابق ، ص 41
[3] عبد السلام طه، حضارة العراق القديم، مرجع سابق ، ص 114
[4] بهنام أبو الصوف، ملامح من تاريخ وحضارة العراق القديم، مرجع سابق ، ص 65.
[5] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،مرجع سابق ، ص 125
[6] المرجع نفسه، ص112
[7] بهنام أبو الصوف، المدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة" العراق القديم"، دار الحرية، بغداد، 1986، ص97.

تُعد فترة جمدة نصر من أوائل المراحل التي ظهر فيها الانتقال من الأختام المسطحة إلى الأختام الأسطوانية. فقد مكّنت التقنية الأسطوانية من طبع مشاهد متكررة على مساحات أكبر من الطين مقارنة بالأختام المسطحة التي كانت محدودة الأثر.[1]

وقد عُثر على نماذج من هذه الأختام في موقع جمدة نصر نفسه، وكذلك في الوركاء وأماكن أخرى من جنوب بلاد الرافدين، مما يدل على شيوع استخدامها بين الجماعات الحضرية الناشئة.[2]

وقد ارتبط ظهور هذه الأختام بالتحولات الاقتصادية الكبرى، إذ احتاجت المعابد والمؤسسات إلى وسائل تضمن حماية المخازن والأوعية وتوثيق المعاملات التجارية، وهو ما حققته الأختام الأسطوانية[3].

استُخدمت في صناعة أختام هذه الفترة الأحجار المحلية مثل الحجر الجيري والألباستر، إضافةً إلى أحجار شبه كريمة مثل العقيق المستورد. ويدل تنوّع المواد على وجود شبكة تجارية تربط بلاد الرافدين بمناطق بعيدة مثل إيران وعُمان[4].

اعتمد النحاتون في جمدة نصر على التحزيز العميق والقشط باستخدام أدوات معدنية وحجرية، الأمر الذي أضفى طابعًا زخرفيًا خطيًا على المشاهد المنقوشة. ويُلاحظ أن تقنية النقش كانت بدائية مقارنة بما سيظهر لاحقًا في عصر فجر السلالات، حيث غلب على النقوش طابع البساطة والتجريد[5].

تتسم أختام جمدة نصر بانتشار المشاهد الهندسية والرمزية، إذ صُوِّرت الحيوانات بشكل مبسط، وأُحيطت بأشكال زخرفية متكررة. ويبدو أن الهدف لم يكن السرد القصصي بقدر ما كان تأكيد الرمزية والهوية البصرية للمؤسسة أو الشخص صاحب الختم.

أظهرت بعض الأختام مشاهد مرتبطة بالحياة الاقتصادية، مثل مشاهد حلب الماشية وتخزين الغلال وصيد الأسماك. وهي موضوعات تعكس اعتماد المجتمع على الزراعة وتربية الحيوانات، إضافة إلى أهمية التخزين والرقابة على الموارد.[6]

---

[1] سامي سعيد الأحمد، حضارة وادي الرافدين، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983، ص141

[2] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج1، المرجع السابق ، ص113.

[3] محمد يوسف محمد الجبوري، دراسة فنية تحليلية لأختام أسطوانية غير مدروسة من عصر جمدة نصر محفوظة في المتحف العراقي، مجلة آداب الفراهيدي، العدد 50، 2022، ص90

[4] م.م. ليث ياس خضير السامرائي ، أختام أسطوانية غير منشورة من المتحف العراقي "دراسة تحليلية فنية"،مرجع سابق ، ص507.

[5] سامي سعيد الأحمد، حضارة وادي الرافدين ،مرجع سابق، ص142

[6] محمد يوسف محمد، دراسة فنية تحليلية لأختام أسطوانية غير مدروسة من عصر جمدة نصر محفوظة في المتحف العراقي ،مرجع سابق، ص ص 92 -95

تكررت صور الثور والماعز والطيور بشكل ملحوظ في أختام جمدة نصر، حيث ارتبط الثور بالقوة والإنتاج الزراعي، بينما عُدّت الطيور رمزًا للحياة والخصوبة. ويدل ذلك على مكانة الحيوانات في حياة الإنسان الرافديني المبكر[1].

رغم غلبة الطابع الاقتصادي، إلا أن بعض الأختام تضمّنت رموزًا دينية وزراعية مرتبطة بالخصوبة والوفرة. وتُعد هذه الرموز تمهيدًا لظهور مشاهد دينية أكثر وضوحًا في الأختام البابلية والآشورية اللاحقة[2].

كانت الأختام الأسطوانية في جمدة نصر أداة عملية لحماية الأوعية المخزنة، حيث يُطبع ختم صاحب المخزن على الطين لإغلاق الأبواب أو الجرار. كما كان لها دور في التوثيق، إذ عُدّت بمثابة توقيع شخصي يرمز إلى هوية الفرد أو المؤسسة.[3]

ومن الجانب الاجتماعي، يرى بعض الباحثين أن امتلاك ختم أسطواني في تلك الفترة كان علامة مكانة اجتماعية، لا سيما إذا كان مصنوعًا من مواد نادرة مثل العقيق أو اللازورد.[4]

تُعتبر الأختام الأسطوانية في هذه الفترة مصدرًا بصريًا غنيًا يوازي أهمية النصوص المسمارية المبكرة. فهي تكشف عن:

طبيعة الأنشطة الاقتصادية والعملية في المجتمع.

الدور الاجتماعي للمؤسسات الدينية والإدارية.

بدايات الرمزية الدينية والزخرفية في الفن الرافديني.

وبذلك، فإن دراسة هذه الأختام تُمكّن الباحث من فهم أعمق للحياة اليومية والرمزية في بلاد الرافدين مطلع الألف الثالث قبل الميلاد.[5]

[1] م.م. ليث ياس خضير السامرائي، أختام أسطوانية غير منشورة من المتحف العراقي "دراسة تحليلية فنية"،مرجع سابق، ص509.
[2] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج1،مرجع سابق، ص115.
[3] محمد يوسف محمد، مرجع سابق، ص102.
[4] ليث ياس السامرائي، أختام أسطوانية غير منشورة من المتحف العراقي "دراسة تحليلية فنية"،مرجع سابق، ص510.
[5] بهنام أبو الصوف، المدخل الى تاريخ الحضارات القديمة ، مرجع سابق ، ص99.

المبحث الثاني: مواد وتقنيات صناعة الأختام الأسطوانية

المطلب الأول : المواد المستخدمة في صناعة الأختام

1) الأحجار المحلية :

اعتمدت المجتمعات الرافدية منذ فجر السلالات على الأحجار المحلية المتوافرة في البيئة المحيطة، نظرًا لسهولة الحصول عليها وتنوع خصائصها الفيزيائية. فقد استُعملت أحجار مثل الكلس والمرمر (Calcite/Alabaster)، وهي مواد لينة نسبيًا، ما جعلها قابلة للنحت والنقش دون عناء كبير. ساعدت سهولة تشغيلها على انتشارها الواسع في الأختام الإدارية واليومية، خصوصًا تلك المخصصة للمعاملات التجارية البسيطة.[1]

كما استُعملت الأحجار الطباشيرية والرخامية محلية المصدر، والتي أظهرت قدرة على إعطاء سطح أملس بعد التلميع. وقد سمحت هذه الخواص بإنتاج أختام ذات نقوش دقيقة وصور واضحة. ويشير بعض الباحثين إلى أنّ انتشار هذه المواد محليًا ساهم في توحيد الطابع الفني للأختام المبكرة في مدن مثل أوروك ولجش.[2]

إنّ اللجوء إلى الأحجار المحلية لم يكن مجرد خيار اقتصادي فحسب، بل ارتبط أيضًا بقدرة الفنان على تشكيل رموز دينية أو طقسية على سطح الحجر. ومن ثمّ، فقد شكّلت هذه المواد أساسًا لولادة الفن النقشي في الأختام، قبل أن تُستبدل تدريجيًا بالأحجار الصلبة وشبه الكريمة المستوردة مع توسّع شبكات التجارة.[3]

2) الأحجار الصلبة وشبه الكريمة

مع تطور التجارة البعيدة المدى، ظهرت الأحجار الصلبة وشبه الكريمة مثل العقيق الأحمر (Carnelian)واللازورد .(Lapis-lazuli) وتميزت هذه المواد بصلابتها الكبيرة التي سمحت بالحفاظ على النقوش لفترات طويلة دون تآكل. وقد اكتُشفت نماذج عديدة من أختام اللازورد في المقابر الملكية في أور، ما يدل على قيمتها العالية واستخدامها من قبل الطبقات الحاكمة.[4]

أما العقيق الأحمر فقد استُخدم بكثرة في العصور الأكادية والبابليّة القديمة، وهو حجر يتميز بلونه الأحمر البرّاق ورمزيته المرتبطة بالقوة والحماية. كان يُستورد على الأرجح من مناطق وادي السند أو

---

[1] محمد علي أبو شحمة، الأختام الأسطوانية مصدرا من مصادر دراسة تاريخ بلاد الرافدين، مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد، العدد 94، 2011، ص122.

[2] صبحي أنور رشيد، الفن في العراق القديم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1980، ص57.

[3] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،مرجع سابق، ص214 .

[4] فوزي رشيد، تاريخ العراق القديم، مرجع سابق، ص133.

الخليج العربي. ويُشير هذا إلى أنّ الأختام لم تكن مجرد أدوات إدارية، بل حوامل لرموز ثقافية ودينية عبر المواد المصنوعة منها.[1]

كما استُعملت الأحجار الصلبة الأخرى مثل الديوريت والكوارتز. وتميزت هذه المواد بصعوبة نقشها، ما جعلها حكرًا على الفنانين المهرة. وغالبًا ما ارتبطت هذه الأختام بالملوك والكهنة أو أصحاب المراتب العليا، حيث حملت نقوشًا طقسية أو دينية ذات دلالات عميقة[2]

3) المواد العضوية والمعادن :

إلى جانب الأحجار، استُخدمت مواد عضوية مثل العاج المستخرج من أنياب الفيلة وأفراس النهر، والتي كانت مادة نادرة ونفيسة. امتازت بسهولة النقش ونعومة السطح، ما جعلها مثالية لإنتاج أختام ذات زخرفة دقيقة. وغالبًا ما ارتبطت الأختام العاجية بالقصور أو بالاستعمال الشخصي للنخبة.[3]

كما استُعملت الأصداف البحرية ومواد أخرى مثل العظام المصقولة في صناعة الأختام الصغيرة. ويرتبط استخدام الأصداف بالاتصال التجاري مع مناطق الخليج العربي، حيث عُثر على أختام من الصدف في مواقع سومرية. وهذا يكشف عن دور المواد في التعبير عن هوية ثقافية وتواصل جغرافي واسع.[4]

أما بالنسبة للمعادن، فقد شملت الذهب والفضة والنحاس. ويبدو أنّ استخدامها كان أقل شيوعًا مقارنة بالأحجار، لكنها ارتبطت بمكانة رفيعة ودلالات طقسية. فقد شكّلت الأختام المعدنية رموزًا للسلطة أو القرابين، أكثر من كونها أدوات يومية. وتشير الأدلة إلى أنّ هذه المواد كانت تُستخدم أساسًا في فترات الازدهار الاقتصادي.[5]

تُظهر دراسة المواد المختلفة أنّ اختيارها لم يكن اعتباطيًا، بل عكس شبكة معقّدة من الدلالات الاجتماعية والدينية والاقتصادية. فالأحجار المحلية جسّدت البدايات العملية للفن النقشي، بينما مثّلت الأحجار شبه الكريمة رمزية الثروة والقوة، في حين عبّرت المواد العضوية والمعادن عن مكانة خاصة وطقوس مميزة. ومن ثمّ فإنّ تحليل المواد يفتح نافذة على فهم أعمق لبنية المجتمع الرافدي وعلاقاته التجارية والثقافية.[6]

---

[1] صبحي أنور رشيد، الفن في العراق القديم، مرجع سابق، ص61.
[2] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج1، مرجع سابق ، ص217.
[3] فوزي رشيد، تاريخ العراق القديم، مرجع سابق، ص140.
[4] د. محمد علي أبو شحمة، الأختام الأسطوانية مصدرا من مصادر دراسة تاريخ بلاد الرافدين، مرجع سابق، ص125.
[5] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج1،مرجع سابق، ص221.
[6] صبحي أنور رشيد، الفن في العراق القديم،مرجع سابق ، ص64.

المطلب الثاني:أدوات وأساليب صناعة الأختام

تمهيد

تُعدّ دراسة الأختام الأسطوانية في بلاد الرافدين من الجوانب المهمة لفهم طبيعة التطور الفني والحرفي في الحضارة الرافدينية. فهذه الأختام لم تكن مجرد أدوات إدارية أو رموز شخصية، بل جسّدت تقدماً تقنياً ملحوظاً في مجال الصناعات الدقيقة. ويكشف الجانب التقني الخاص بصناعتها عن مستوى عالٍ من التنظيم والمعرفة الحرفية، إذ إن الأدوات المستعملة، والتقنيات المطبقة في النقش، وطريقة إظهار الانطباع على الطين، جميعها تعكس وعياً متقدماً بأصول الصناعة وفنون الزخرفة.[1]

1. أدوات الحفر والنقش:

اعتمد الحرفيون الرافدينيون على أدوات معدنية دقيقة تمكّنهم من إنجاز نقوش معقدة وملامح واضحة. فقد استخدموا الإبر المعدنية ذات الأطراف الحادة لتحديد الأشكال الأولية، بينما استُعملت الأزاميل الدقيقة لإنجاز تفاصيل دقيقة مثل ملامح الوجوه والكتابات المسمارية.

وتدل المكتشفات الأثرية على أن بعض هذه الأدوات كانت مزودة بمقابض خشبية أو عظمية، ما يسهل التحكم بها أثناء عملية الحفر، ويمنح النقش دقة عالية حتى في المساحات الصغيرة.[2]

2. أدوات التثبيت والدوران:

كانت عملية النقش تتطلب تثبيت الأسطوانة بشكل دقيق، ولهذا استُخدمت المحاور الدوارة أو المغازل اليدوية. هذه الأدوات مكّنت الصانع من تدوير الأسطوانة بسلاسة أثناء النقش، الأمر الذي ساعد على انتظام الخطوط والنقوش.

كما تدل الأدلة على أن الأختام الأكادية والآشورية اللاحقة اتسمت بدرجة عالية من التناظر والدقة، ما يرجّح استخدام أدوات تثبيت متطورة نسبيًا مقارنة بالعصور السابقة.[3]

3. تقنيات النقش المبكر:

في العصور الأولى، كعصر فجر السلالات، اتسمت النقوش بالبساطة، وغالباً ما استخدم الحرفي النقش المباشر، أي الحفر اليدوي دون تحضير مسبق للتصميم. هذه التقنية، رغم بساطتها، كانت تتطلب دقة كبيرة، لأن أي خطأ لا يمكن إصلاحه بسهولة.

---

[1] صبحي أنور رشيد، الفن العراقي القديم، مرجع سابق، ص 112.
[2] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج1، مرجع سابق، ص 209.
[3] فوزي رشيد، تاريخ العراق القديم، مرجع سابق، ص 145.

وتظهر آثار هذه الطريقة في بعض الأختام ذات الأشكال الهندسية البسيطة أو الرموز الدينية التي لا تحمل زخارف معقدة.[1]

4. تقنية النقش الغائر(Intaglio) :

يُعتبر النقش الغائر أبرز التقنيات المستخدمة في بلاد الرافدين. ويقوم على حفر الصور والرموز داخل سطح الأسطوانة، بحيث يظهر المشهد بارزاً عند طبع الختم على الطين.

وقد سمحت هذه التقنية بتمثيل مشاهد معقدة تشمل الآلهة والطقوس والكتابات المسمارية. ويُلاحظ أن هذه الطريقة بلغت ذروتها في العصر الأكادي، حيث ظهرت نقوش دقيقة تعكس مهارة عالية لدى الصناع.[2]

5. تقنية النقش التدريجي:

في هذه التقنية، يقوم الصانع أولاً برسم الخطوط الأولية للنقش، ثم يعود تدريجياً لإضافة تفاصيل دقيقة كالأزياء والملامح البشرية. هذه الطريقة تعكس وعياً فنياً وتنظيماً في العمل، كما تسمح بتلافي الأخطاء خلال عملية الحفر.

وقد كشفت بعض الأختام عن وجود مراحل متعاقبة في النقش، الأمر الذي يدل على أن العملية لم تكن عشوائية بل منهجية ومدروسة.[3]

6. أدوات التشطيب والصقل:

بعد إتمام عملية النقش، كان لا بد من صقل سطح الأسطوانة للتأكد من وضوح الانطباع. لهذا الغرض استُخدمت المكاشط المعدنية وأدوات ناعمة من الحجر أو العظم.

وتُظهر بعض الأختام أثراً لعمليات تلميع دقيقة جعلت النقوش أكثر وضوحاً عند الطبع. وقد يكون هذا الجانب الفني جزءاً من جمالية الختم، إذ لم يكن مجرد أداة إدارية، بل قطعة فنية أيضاً.[4]

7. مراحل الصناعة العملية:

يمكن تلخيص عملية صناعة الأختام في عدة مراحل:

1. تسوية الشكل الأسطواني وإعداده.
2. تثبيت الأسطوانة على أداة دوران.

---

[1] بهنام أبو الصوف، آثار العراق، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، 1986، ص 98.
[2] عامر سليمان، الفنون في العراق القديم، دار الكتب للطباعة ، الموصل، 1990، ص 167.
[3] زهير بستاني، ملامح من حضارة وادي الرافدين، دار المأمون ، بغداد، 1992، ص 211.
[4] عبد الأمير الحمداني، الملامح العامة لحضارة وادي الرافدين، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، 2002، ص 134.

.3رسم الخطوط الأولية باستخدام أداة خشنة.

.4تنفيذ النقوش التفصيلية بالإبر والأزاميل.

.5التشطيب عبر الصقل والتلميع.

.6اختبار الختم بطبعه على الطين الرطب للتأكد من دقة الانطباع.

وتدل هذه المراحل على أن الصناعة كانت عملية متدرجة ومنظمة، تعكس مستوى عالياً من التخصص والتوارث الحرفي.[1]

8. البعد الحرفي والفني للتقنيات:

تكشف دراسة هذه الأدوات والتقنيات أن صانع الأختام لم يكن مجرد حرفي، بل فناناً يمتلك القدرة على الجمع بين الوظيفة والجمالية. فالتقنيات الدقيقة كالنقش الغائر والتشطيب الناعم، جعلت الأختام مزيجاً من القيمة العملية والقيمة الفنية.

كما أن وجود اختلاف في مستوى الدقة بين الأختام المكتشفة يدل على وجود ورش حرفية متخصصة، بعضها مخصص للنخبة الحاكمة، وأخرى لشرائح اجتماعية أدنى.[2]

إن دراسة تقنيات وأدوات صناعة الأختام الأسطوانية في بلاد الرافدين تُبرز مدى التطور الذي وصلت إليه هذه الحضارة في مجالات الفن والصناعة. فالتنوع في أساليب النقش، ودقة الأدوات المستخدمة، وتنظيم مراحل الصناعة، كلها عوامل تؤكد أن هذه الأختام لم تكن مجرد أدوات للتوثيق والإدارة، بل تحولت إلى وسيلة للتعبير الفني والرمزي.

كما أن فهم هذه التقنيات يساعد الباحث في استنتاج طبيعة الورش الحرفية، ومستوى التخصص، والدور الاجتماعي لهذه الأختام في الحياة اليومية للرافدينيين.[3]

[1] طه باقر، ملحمة جلجامش "دراسة تحليلية"، دار الرشيد ، بغداد، 1980، ص 51.
[2] فوزي رشيد، ملامح من تاريخ العراق القديم، دار الحرية ، بغداد، 1978، ص 222.
[3] بهنام أبو الصوف، حضارة العراق، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، 1986، ص 154

الفصل الثاني

أهمية الاختام الاسطوانية و تطورها على العصور المختلفة لحضارة بلاد الرافدين

المبحث الأول: أهمية الأختام الأسطوانية ووظائفها

المطلب الأول: الأهمية الإدارية والسياسية للأختام الأسطوانية

المطلب الثاني: الأهمية الاقتصادية والتجارية للأختام الأسطوانية

المطلب الثالث: الأهمية الدينية والفنية للأختام الأسطوانية

المبحث الثاني : تطور الاختام الاسطوانية عبر العصور المختلفة لحضارة بلاد الرافدين

المطلب الأول: الأختام الأسطوانية في فترة فجر السلالات

المطلب الثاني: الأختام الأسطوانية في الفترة الأكادية

المطلب الثالث: الأختام الأسطوانية في الفترة البابلية

المطلب الرابع: الأختام الأسطوانية في الفترة الآشورية

المطلب الخامس: الأختام الأسطوانية في الفترة البابلية الحديثة (الكلدانية)

الفصل الثاني: أهمية الأختام الأسطوانية وتطورها عبر العصور المختلفة لحضارة بلاد الرافدين

المبحث الأول: أهمية الأختام الأسطوانية ووظائفها

المطلب الأول: الأهمية الإدارية والسياسية للأختام الأسطوانية

لقد شكلت الأختام الأسطوانية في بلاد الرافدين أداة أساسية في المجال الإداري والسياسي منذ أواخر الألف الرابع قبل الميلاد. فقد ارتبط ظهورها بنمو المدن الأولى واتساع النشاط البيروقراطي للدولة، حيث أصبح من الضروري إيجاد وسيلة تضمن توثيق المعاملات الرسمية ومنع التلاعب بها. وقد مثّل الختم الأسطواني وسيلة دقيقة تحقق هذا الهدف، إذ جرى استخدامه لختم الألواح الطينية التي تحمل نصوص العقود، والرسائل الإدارية، والمراسلات الرسمية بين المراكز السياسية المختلفة.[1]

كما أن الأختام كانت تمثل توقيعاً شخصياً لمالكها، فهي تؤكد هويته وتعكس مكانته داخل المجتمع، بحيث أصبح من المستحيل تمرير أي معاملة إدارية دون وجود ختم يثبت صحتها. وقد أدى هذا الدور إلى تعزيز سلطة الحكام والموظفين الكبار، حيث ارتبطت شرعية الوثائق بختم الجهة المصدّرة لها، ما منح الأختام أهمية سياسية عظمى.[2]

وقد أظهرت التنقيبات الأثرية في مدن مثل أور، ووركاء، وكيش، عدداً كبيراً من الأختام الأسطوانية التي تحمل نقوشاً لملوك وموظفين كبار، مما يشير إلى أن امتلاك الختم كان رمزاً للنفوذ السياسي والإداري، فضلاً عن كونه وسيلة للسيطرة على المعاملات الحكومية.[3]

[1] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج1، مرجع سابق، ص 215.
[2] صبحي أنور رشيد، الأختام الأسطوانية، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1986، ص 44.
[3] فوزي رشيد، ملامح من تاريخ وحضارة العراق القديم، مرجع سابق، ص 132.

لم يقتصر الدور الإداري للأختام الأسطوانية على توثيق العقود فقط، بل شمل أيضاً تنظيم عمل المؤسسات، مثل المعابد والمخازن الملكية. فقد كان لكل مؤسسة ختم خاص بها، يوضع على الألواح التي تسجل السلع المخزونة أو الموزعة، مما وفر وسيلة لمراقبة الموارد الاقتصادية وضمان توزيعها وفق أوامر السلطة المركزية.[1]

وعلاوة على ذلك، ارتبطت الأختام بالسلطة الملكية مباشرة، حيث كان الملوك يصدرون أوامرهم مصحوبة بختم ملكي يحمل نقوشاً مميزة، ما جعل الختم أداة لفرض الهيبة والشرعية على القرارات السياسية.[2]

أما على المستوى الدولي، فقد لعبت الأختام دوراً مهماً في المراسلات الدبلوماسية، إذ استعملتها الممالك المتجاورة لتوثيق رسائلها المتبادلة وضمان سريتها، مما جعلها أداة ضرورية في العلاقات بين الدويلات داخل بلاد الرافدين وخارجها.[3]

المطلب الثاني: الأهمية الاقتصادية والتجارية للأختام الأسطوانية

أخذت الأختام الأسطوانية في بلاد الرافدين بعداً اقتصادياً بارزاً، إذ كانت الوسيلة الأساسية لتوثيق النشاطات التجارية داخل المدن وفيما بينها. فقد ارتبطت حركة التبادل التجاري بضرورة تسجيل الصفقات التجارية على ألواح طينية مختومة بختم المالك أو التاجر، لضمان حقوق الأطراف كافة.[4]

[1] سامي سعيد الأحمد، تاريخ العراق القديم، ج1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1989، ص 178.
[2] صبحي أنور رشيد، الأختام الأسطوانية، مرجع سابق ، ص 52.
[3] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج2، مرجع سابق ، ص 64.
[4] فوزي رشيد، ملامح من تاريخ وحضارة العراق القديم، مرجع سابق، ص 141.

لقد شكلت هذه الممارسة خطوة مهمة في تاريخ الفكر الاقتصادي، حيث أسهمت الأختام في تنظيم عمليات البيع والشراء وتسجيل الديون والمستحقات المالية، وهو ما يعكس تقدّم المجتمع الرافديني في وضع نظم اقتصادية دقيقة.[1]

كذلك استُعملت الأختام لتوثيق حركة البضائع المخزونة والموزعة، سواء في المعابد التي كانت تمثل مراكز اقتصادية ضخمة، أو في القصور الملكية التي سيطرت على الموارد الزراعية والسلع المستوردة.[2]

إلى جانب دورها في تنظيم التجارة الداخلية، برزت الأختام الأسطوانية كأداة محورية في التبادل التجاري الخارجي. فقد أظهرت التنقيبات العثور على أختام أسطوانية في مواقع بعيدة مثل الأناضول وإيران ووادي السند، مما يدل على أن التجار العراقيين كانوا يستخدمون أختامهم لتوثيق الصفقات الدولية.[3]

وتشير النصوص الاقتصادية المكتشفة في مدينة "إيبلا" بسوريا إلى أن الأختام كانت وسيلة إلزامية لتوثيق عمليات التبادل التجاري مع بلاد الرافدين، ما يعكس الأهمية الكبيرة لهذه الأداة في النظام التجاري القديم.[4]

كما سمحت الأختام بفرض الرقابة على الضرائب وجمعها من المزارعين والتجار، حيث كانت السلع المختومة تعني أنها خاضعة للرقابة الرسمية، وهو ما وفر دخلاً ثابتاً للدولة المركزية.[5]

[1]طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج1، مرجع سابق ، ص 223.
[2]سامي سعيد الأحمد، تاريخ العراق القديم، ج1، مرجع سابق ، ص 184.
[3]صبحي أنور رشيد، الأختام الأسطوانية، مرجع سابق، ص 61.
[4]طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج2، مرجع سابق، ص 78.
[5]سامي سعيد الأحمد، تاريخ العراق القديم، ج2، مرجع سابق، ص 192.

المطلب الثالث: الأهمية الدينية والفنية للأختام الأسطوانية

إلى جانب وظائفها الإدارية والاقتصادية، اكتسبت الأختام الأسطوانية بعداً دينياً وفنياً مهماً في حضارة بلاد الرافدين. فقد حملت كثير من الأختام نقوشاً تمثل مشاهد دينية مرتبطة بالآلهة والطقوس والشعائر، مما جعلها مصدراً مهماً لفهم الفكر الديني الرافديني.[1]

كثيراً ما صُوّرت على الأختام مشاهد تمثل الآلهة الكبرى مثل إنانا، شمش، ومردوخ، إضافة إلى رموز مقدسة كالنجمة والشمس والهلال، وهو ما يدل على أن الختم لم يكن مجرد أداة عملية، بل كان يحمل بعداً عقائدياً يعكس إيمان المجتمع بقوى ما وراء الطبيعة.[2]

من ناحية أخرى، أظهرت الأختام براعة فنية عالية في النقش، حيث استخدم الفنانون أدوات دقيقة لحفر تفاصيل المشاهد، ما يجعل الأختام وثائق فنية تكشف أساليب الرسم والنحت في العصور القديمة.[3]

كما ارتبطت الأختام بالممارسات الجنائزية والدينية، حيث كان الأفراد يدفنون مع أختامهم الخاصة، اعتقاداً بأنها سترافقهم في العالم الآخر كرمز لهويتهم وحامٍ لهم أمام الآلهة.[4]

إضافة إلى ذلك، كانت بعض الأختام تحمل نصوصاً أو رموزاً تُستخدم كتعويذات سحرية لطرد الأرواح الشريرة أو لجلب الحماية والبركة، مما يعكس تداخل البعد الديني بالسحر والشعائر.[5]

[1] محمد علي أبو شحمة، الأختام الأسطوانية مصدرا من مصادر دراسة تاريخ بلاد الرافدين، مجلة كلية الآداب، جامعة القادسية، العدد 18، 2013، ص 214.
[2] فوزي رشيد، ملامح من تاريخ وحضارة العراق القديم، مرجع سابق، ص 156.
[3] صبحي أنور رشيد، الأختام الأسطوانية، مرجع سابق، ص 88.
[4] سامي سعيد الأحمد، تاريخ العراق القديم، ج2، مرجع سابق، ص 214.
[5] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج2، مرجع سابق، ص 98.

أما من الناحية الفنية، فإن تنوع أشكال النقوش بين المشاهد الدينية والحربية والحيوانية والرمزية جعل الأختام مرجعاً غنياً لدراسة الفنون الرافدينية، خاصة وأنها تمثل أقدم النماذج المصغرة للفن المنقوش على الحجر.[1]

المبحث الثاني : تطور الاختام الاسطوانية عبر العصور المختلفة لحضارة بلاد الرافدين

المطلب الأول: الأختام الأسطوانية في فترة فجر السلالات

1) الخصائص العامة للأختام في فترة فجر السلالات:

شهدت فترة فجر السلالات في بلاد الرافدين تطوراً ملحوظاً في مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، الأمر الذي انعكس بصورة مباشرة على صناعة الأختام الأسطوانية. فقد أصبحت هذه الأختام وسيلةً معقدةً وذات بعد رمزي، تتجاوز وظيفتها الإدارية والعملية لتؤدي دوراً اجتماعياً ودينياً وسياسياً أيضاً. ويظهر من خلال المكتشفات الأثرية أنّ هذه الفترة قد تميزت بكثرة الأختام المكتشفة في المواقع السومرية مثل الوركاء، لكش، أور، نفر، وأداب، والتي حملت زخارف متطورة مقارنة بما سبقها في عصر جمدة نصر.[2]

ومن أبرز خصائص هذه الأختام هو التوجه نحو إبراز المشاهد الطقسية والبطولية بشكل أكثر وضوحاً، حيث ظهرت صور الحكام والملوك وهم يباشرون طقوس العبادة أو يواجهون الأعداء والوحوش الأسطورية. كما برزت ملامح الأسلوب الفني السومري المميز الذي يقوم على تقسيم المشهد إلى سجلات أفقية، بما يساعد في توضيح تسلسل الحدث المصور على الختم[3]

[1] صبحي أنور رشيد، الأختام الأسطوانية، مرجع سابق، ص 94.
[2] عبد الأمير الحمداني، الأختام الأسطوانية ودلالاتها التاريخية، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، 2004، ص45.
[3] محمد علي أبو شحمة، الأختام الأسطوانية مصدرا من مصادر دراسة تاريخ بلاد الرافدين، مجلة كلية الآداب، العدد 10، جامعة مصراتة، ص67.

2) الموضوعات المصورة على الأختام:

تنوّعت الموضوعات التي زخرفت على الأختام في فترة فجر السلالات، وكان أغلبها يعكس الذهنية السومرية التي تمحورت حول الدين والسلطة والحرب. فقد ظهرت مشاهد الآلهة جالسة على عروشها، يستقبلها الكهنة أو الحاكم، مما يعكس مكانة المؤسسة الدينية آنذاك. كما برزت مشاهد المآدب الطقسية (**انظر الملحق رقم 03**) التي يبدو أنّها كانت جزءاً من شعائر مرتبطة بالخصوبة والعبادات الزراعية.[1]

كذلك انتشرت مشاهد الصراع البطولي، حيث يُمثَّل البطل السومري – ربما الملك أو شخصية شبه أسطورية – وهو يقاتل الأسود أو الثيران أو الوحوش المركبة، وهو موضوع يعكس قوة الحاكم وحمايته للمدينة. ومن الموضوعات المتكررة أيضاً مشاهد الحرب المنظمة، إذ يصور الجنود وهم مصطفون بقيادة قائدهم في مواجهة الخصوم، وهو ما يعكس الواقع السياسي المتمثل في التنافس بين المدن–الدول السومرية آنذاك.[2]

3) الوظائف الإدارية والسياسية للأختام:

مع توسع المدن السومرية وازدياد تعقيد الجهاز الإداري، غدت الأختام الأسطوانية أداة لا غنى عنها في توثيق العمليات الاقتصادية، مثل ختم الأواني الفخارية والأبواب والألواح الطينية التي تتعلق بالمخازن والمعابد. وقد كشفت التنقيبات في مدينة لكش وأور عن أعداد كبيرة من الأختام التي ارتبطت بالوثائق الإدارية، مما يوضح استخدامها في ضبط الموارد والضرائب وتوزيع الحبوب والمعادن.[3]

[1] سامي سعيد الأحمد، تاريخ العراق القديم، مرجع سابق، ص112.
[2] سيتون لويد ، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي ، تر:محمد طلب ، ط1، دار دمشق ، 1992-1993، ص172
[3] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،ج1 ، مرجع سابق ، ص219.

كما استُعملت الأختام كوسيلة لتمييز الملك والطبقة الحاكمة عن بقية المجتمع. فالختم كان بمثابة توقيع شخصي يمنح صاحبه الشرعية والسلطة، خاصة في العقود التجارية والمعاهدات. وتدل زخارف بعض الأختام التي تحمل صور الملوك وهم يستلمون السلطة من الآلهة على أنّ الختم كان يحمل دلالات سياسية ودينية في آن واحد، إذ يعكس شرعية الحكم وارتباطه بالمقدس.[1]

4) الأبعاد الفنية والجمالية للأختام:

من الناحية الفنية، أظهر صانعو الأختام في هذه الفترة براعةً ملحوظة في تقنيات النقش، حيث استُخدمت أدوات حادة ودقيقة مكنت الفنان من إبراز تفاصيل صغيرة كملامح الوجوه أو أشكال الحيوانات. كما برزت ميزة استخدام التكوين المتوازن الذي يمنح المشهد ديناميكية وحركة واضحة.

ويمكن القول إنّ فن النقش على الأختام في فترة فجر السلالات كان مدرسة قائمة بحد ذاتها، إذ مهد الطريق لظهور الأساليب الأكادية اللاحقة التي اتسمت بمزيد من الواقعية والدقة في تصوير الجسد الإنساني والحيوان. وقد مثلت هذه الأختام سجلاً مصوراً يعكس تفاصيل الحياة اليومية والطقوس الدينية، فضلاً عن كونها أعمالاً فنية عالية القيمة.[2]

المطلب الثاني: الأختام الأسطوانية في الفترة الأكادية

مع بروز الدولة الأكّادية كأول إمبراطورية في تاريخ بلاد الرافدين (2334–2154 ق.م) على يد الملك سرجون الأكدي، شهد فن الأختام الأسطوانية تطورًا نوعيًا كبيرًا، سواء من حيث الموضوعات المصورة أو الأسلوب الفني أو الوظائف الإدارية. فقد أصبحت الأختام أداة أساسية لتوثيق المعاملات التجارية

[1] المرجع نفسه، ص220.
[2] فاروق إسماعيل، الفن في العراق القديم، دار الحرية ، بغداد، 1986، ص98.

والإدارية، ووسيلة لإبراز هيبة السلطة الملكية، إضافة إلى كونها وسيلة للتعبير الأيديولوجي عن العقيدة الرسمية التي أراد ملوك الأكديين نشرها في أنحاء إمبراطوريتهم.[1]

تميّزت الأختام الأكّادية بابتعادها عن الأسلوب الرمزي البسيط الذي ميّز فترات الوركاء وجمدة نصر، لتتجه نحو التجسيم الواقعي للأجساد البشرية والحيوانية، وإبراز القوة الحربية والسيطرة الإلهية. وهذا يعكس الروح العسكرية للدولة الأكّادية التي توسعت على حساب المدن السومرية المجاورة.[2]

من أبرز الموضوعات التي ظهرت على الأختام الأكّادية مشاهد الملك المحارب، حيث يُصوَّر وهو يضرب الأعداء أو يقود الأسرى، في تكرار لفكرة "الملك القوي المهيمن" التي رافقت الدعاية السياسية لسرجون وخلفائه.[3]

كما ظهرت مشاهد الآلهة الكبرى كشمش (إله الشمس والعدالة) وإنانا/عشتار (إلهة الحرب والحب) وهي تمنح الشرعية للملك، مما يشير إلى العلاقة الوثيقة بين السلطة السياسية والدين.[4]

من الناحية الفنية، تميّزت هذه الأختام بالاعتماد على الحفر الدقيق العميق باستخدام أدوات معدنية أكثر تطورًا، مما سمح بإبراز تفاصيل الوجه والعضلات والملابس بشكل أوضح. كما اتسمت التراكيب الفنية بظهور منظور هرمي يضع الملك أو الإله في مركز المشهد، بينما توضع الشخصيات الثانوية بحجم أصغر، وهو ما يعكس البنية السياسية الهرمية للدولة الأكّادية.[5]

[1] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،ج1، مرجع سابق ، ص 201
[2] هنري فرانكفورت، فن الشرق الأدنى القديم، ترجمة سامي سعيد الأحمد، بغداد، 1986، ص 110.
[3] المرجع نفسه، ص 112.
[4] عامر سليمان، الفن في العراق القديم، جامعة الموصل، 1990، ص 89.
[5] المرجع نفسه، ص91.

كذلك اتسمت الأختام الأكّادية بظهور مشاهد الطبيعة الكونية مثل الأنهار الجارية والجبال والشمس، في ارتباط مباشر بفكرة السيطرة الكونية للملك. وقد أظهرت بعض الأختام مشاهد طقسية كـ"تقديم القرابين" أمام الآلهة، أو مشاهد "الإله الحارس" الذي يقود الأفراد نحو الإله الأكبر.[1]

من الناحية الوظيفية، لم تعد الأختام الأكّادية مجرد وسيلة شخصية للتوقيع أو إثبات الملكية، بل أصبحت أداة رسمية للدولة تُستخدم في الأرشيفات الملكية والمعابد والإدارات الإقليمية. وقد عُثر على مئات الأختام الأكّادية في مواقع متعددة مثل ماري، إبلا، ونينوى، وهو ما يبرهن على انتشارها الواسع كرمز للهوية الإدارية للإمبراطورية.[2]

وتشير بعض الدراسات إلى أنّ الأختام الأكّادية لم تكن فقط وسيلة توثيق، بل حملت أيضًا بعدًا دعائيًا وأيديولوجيًا، فهي وسيلة لتكريس صورة الملك بوصفه ممثلًا للإله على الأرض، وضامنًا للنظام الكوني والسياسي في آن واحد.[3]

لقد ساهمت الأختام الأسطوانية الأكّادية في إرساء أسلوب فني جديد يُعرف بالأسلوب "الأكّادي الكلاسيكي"، والذي اتسم بالواقعية والدقة في تمثيل الأجسام البشرية. فقد برزت العضلات، وتفاصيل الوجه واللحية والشعر، على نحو لم يُعرف في الفترات السابقة. ويبدو أنّ هذا التطور الفني ارتبط بظهور طبقة من النقاشين المحترفين الذين عملوا في البلاط الملكي والمعابد، ما أضفى طابعًا رسميًا على إنتاج الأختام.[4]

[1] محمد علي أبو شحمة، "الأختام الأسطوانية مصدرا لدراسة تاريخ بلاد الرافدين"، مجلة كلية الآداب، العدد 118، بغداد، 2017، ص 144.
[2] BriggsBuchanan, Early Near Eastern in the yale Babylonian Collection,1981, p165.
[3] نفسه، ص 166.
[4] د. عبد القادر حسن، الفن الأكادي"دراسة في الأصول والأساليب"، دار الفكر، دمشق، 2001، ص 133.

كذلك تميزت الأختام الأكّادية بكثرة استخدام مشاهد الصراع بين الإنسان والحيوان، أو بين الحيوانات نفسها، مثل الأسد والثيران البرية، وهو ما يعكس فكرة "قوة الطبيعة" التي يسيطر عليها الملك أو البطل. وهذا الأسلوب الفني يحمل دلالات سياسية، حيث يظهر الحاكم بمثابة حامٍ للمجتمع من قوى الفوضى والخراب.[1] **(انظر الملحق رقم 06)**

من الناحية التقنية، شهدت هذه الفترة إدخال أدوات معدنية حادة كالإبر النحاسية والبرونزية، التي مكنت النقاش من تحقيق حفر عميق، وبالتالي إبراز الأبعاد الثلاثية للشخصيات. وقد استُخدم الحجر الصلب مثل الديو رايت (Diorite) واللازورد (Lapis Lazuli) لصناعة الأختام، وهي مواد ثمينة جُلبت من مناطق بعيدة كإيران وأفغانستان، ما يعكس الأهمية الاقتصادية والسياسية لهذه القطع الفنية.[2]

كما أن استخدام هذه المواد الثمينة يشير إلى أنّ الأختام الأكّادية لم تكن ملكًا لعامة الناس، بل اقتصرت على الملوك والنخبة الإدارية والكهنة، مما زاد من قيمتها الرمزية والاجتماعية. فامتلاك الختم لم يكن مجرد أداة عملية، بل علامة على المكانة والسلطة داخل المجتمع الأكّادي.[3]

لقد مثّلت بعض الأختام الأكّادية نصوصًا أسطورية، حيث صورت مشاهد من ملحمة جلجامش، خصوصًا مشاهد المصارعة مع الثور السماوي، أو مغامرات البطل مع إنكيدو. وهذا يؤكد أن النقاشين الأكّاديين استلهموا أعمالهم من الموروث الأدبي والأسطوري لبلاد الرافدين[4].

كذلك تظهر على الأختام الأكّادية صور الآلهة الجالسة على عروش فخمة وهي تتلقى القرابين من الملك أو من ممثلين عنه، في إشارة إلى الشرعية الإلهية التي يستمد منها الحكم. وقد برزت إنانا/عشتار كإلهة

[1] عادل ناجي ، الأختام الأسطوانية "حضارة العراق" ، ج4 ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، 1985، ص ص 235-236
[2] BriggsBuchanan,P167
[3] د. عامر سليمان، الفن في العراق القديم، مرجع سابق ، ص 91.
[4] BriggsBuchanan,P14

محاربة في هذه الفترة، حيث تُصوَّر وهي تحمل الأسلحة أو تقود المعارك، وهو ما ينسجم مع التوسع العسكري للأكّاديين.[1]

من الناحية الجغرافية، وُجدت الأختام الأكّادية في مناطق واسعة خارج حدود بلاد الرافدين، مثل ماري على الفرات الأوسط، إبلا في سوريا، سوسة في عيلام، وهو ما يعكس الامتداد الواسع للتأثير الأكّادي. كما يشير إلى أنّ الأختام لم تكن مجرد أدوات إدارية محلية، بل كانت رموزًا للهوية الإمبراطورية، تُستخدم في جميع المراكز التابعة للدولة.[2]

وتدل هذه الاكتشافات على وجود شبكة إدارية موحدة اعتمدت على الأختام لضبط المعاملات وتوثيق المراسلات والاتفاقيات. وقد ارتبط ذلك بظهور "الأرشيفات الملكية" التي احتوت على آلاف الرقم الطينية المختومة، ما يبرهن على الاستخدام الكثيف للأختام كجزء أساسي من الجهاز البيروقراطي.[3]

عند مقارنة الأختام الأكّادية بما سبقها من الأختام السومرية، نجد أن النقلة كانت واضحة. ففي حين غلبت الرمزية البسيطة والصفوف المتكررة في الأختام السومرية، جاءت الأختام الأكّادية بأسلوب قصصي سردي، حيث صُوِّرت الأحداث في مشاهد متتابعة، تُشبه ما يمكن اعتباره "لوحة مصغرة" تحكي قصة متكاملة.

وقد استمر تأثير هذا الأسلوب الأكّادي في الفترات اللاحقة، مثل عصر أور الثالثة والعصر البابلي القديم، حيث ورثت الأختام اللاحقة الكثير من العناصر الفنية والموضوعية للأختام الأكّادية. لذا يمكن

[1] مظلوم طارق ، مظاهر الفن الأكادي، دار النهضة العربية، بيروت، 1995، ص 144.
[2] BriggsBuchanan,P177
[3] نفسه، ص172

القول إن الفترة الأكّادية شكّلت ذروة تطور الأختام الأسطوانية، سواء من الناحية الفنية أو الأيديولوجية أو الوظيفية.[1]

المطلب الثالث: الأختام الأسطوانية في الفترة البابلية:

1- الخصائص العامة للأختام البابلية

شهدت الفترة البابلية (1894–1595 ق.م تقريباً) تطوراً ملحوظاً في استخدام الأختام الأسطوانية، سواء من حيث انتشارها أو من حيث الموضوعات الفنية المنقوشة عليها. فقد اتسمت هذه الأختام بالهدوء والانسجام، حيث ابتعدت عن مشاهد الصراع الحربي والعنف التي ميزت الأختام الأكادية، لتُركز على المشاهد الدينية والطقسية التي تجسد العلاقة بين الإنسان والإله[2].

إن هذه النقلة لم تكن مجرد تغير فني، بل تعكس طبيعة المجتمع البابلي ذاته، الذي أولى الدين مكانة بارزة في الحياة اليومية، حتى أن التوثيق الإداري والعقود التجارية ارتبطت بحضور رمزي للآلهة عبر نقوش الأختام. وبهذا، أصبح الختم بمثابة "شاهد سماوي" على صدق المعاملات.

وقد لوحظ أيضاً أن الأختام البابلية استُعملت على نطاق أوسع مقارنة بالفترات السابقة، فلم تقتصر على الملوك والموظفين الكبار، بل امتدت إلى التجار وأصحاب المهن، ما جعلها أداة شاملة لضبط النظام الاقتصادي والاجتماعي[3].

[1] BriggsBuchanan,P172

[2] صبحي الديري، الفن في حضارة وادي الرافدين، دار دمشق، دمشق، 2001، ص ص145-147.

[3] BriggsBuchanan,P255-256.

1- المشاهد الدينية والرمزية

أصبحت المشاهد الدينية أكثر وضوحاً في الأختام البابلية، إذ تكررت صور الأفراد الذين يتضرعون أمام آلهة جالسة على عروش مرتفعة. وغالباً ما يظهر شخص يقوده كائن وسطي – قد يكون إلهاً صغيراً أو كائناً خرافياً – نحو الإله الرئيس، في مشهد يعرف بـ "مشهد التقديم[1]." **(انظر الملحق رقم 05)**.

كما كثرت الرموز الفلكية على الأختام، مثل الهلال والقرص الشمسي والنجوم، والتي ارتبطت بآلهة مثل:

شمش: إله الشمس والعدالة، وكان ظهوره رمزاً للحق والإنصاف.

سين: إله القمر، الذي ارتبط بالخصب ودورات الزمن.

عشتار: إلهة الحب والحرب، وقد مثّلت رمزاً للخصوبة والقوة الأنثوية[2].

هذه الرموز لم تكن مجرد زخارف، بل كانت تحمل دلالات دينية عميقة تؤكد حضور الآلهة في تفاصيل الحياة اليومية، وفي المعاملات التي توثق بالختم[3].

3- المواد وتقنيات النحت

استمر البابليون في استخدام نفس المواد التقليدية التي استُعملت في فترات سابقة مثل: الحجر الصابوني (Steatite)، والعقيق(Carnelian) ، واللازورد(Lapis Lazuli) ، إضافة إلى أحجار محلية كالألباستر والكلس. وكانت قيمة الختم تختلف بحسب ندرة وجودة المادة المصنوعة منها[4].

[1] هنري فرانكفورت، فن الشرق الأدنى القديم، ترجمة سعيد الغزّي، وزارة الثقافة، دمشق، 1990، ص ص 163-164.
[2] هنري فرانكفورت ،فن الشرق الادنى القديم،مرجع سابق، ص165 .
[3] J. Black & A. Green, Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, British Museum Press, London, 1992, p. 95.
[4] عادل ناجي، الأختام الأسطوانية في العراق القديم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1998، ص ص101-102

أما تقنيات النحت فقد اعتمدت بشكل أساسي على استخدام المثاقب الدقيقة والأزاميل المعدنية الصغيرة التي مكنت الفنان البابلي من إظهار تفاصيل دقيقة رغم صغر مساحة الختم. ومن السمات المميزة للأختام البابلية أنّ الفنانين لجأوا إلى أسلوب "النحت الغائر" أكثر من البارز، وهو ما جعل الخطوط تبدو أنيقة ومتماسكة[1].

هذا التقدم في التقنيات جعل الأختام البابلية ليست فقط أدوات عملية بل أيضاً تحفاً فنية تعكس ذوقاً رفيعاً في التكوين الفني.

4- الوظائف الإدارية والقانونية

تُعد الأختام البابلية من أهم الأدوات التي تكشف عن طبيعة الإدارة والتنظيم القانوني في تلك الفترة. فقد استُعملت هذه الأختام لختم الألواح الطينية التي توثق العقود التجارية، وعمليات البيع والشراء، والديون، والزواج والميراث. وكانت الأختام بمثابة "توقيع شخصي" يثبت هوية صاحبها[2].

وإلى جانب دورها القانوني، استُعملت الأختام أيضاً في المؤسسات المعبدّية، حيث كانت توضع على المخازن والأبواب لضمان عدم التلاعب بالمحتويات. وهكذا مثّلت الأختام ضمانة مزدوجة: إدارية من خلال إثبات الملكية، ودينية من خلال استحضار الآلهة كشهود على العقد[3].

كما أن تنوع الأختام بين عامة الناس وطبقة النخبة يعكس التدرج الاجتماعي في المجتمع البابلي، إذ كانت الأختام المزخرفة بعناية أكبر تخصّ الطبقات العليا، بينما كانت الأختام البسيطة منتشرة بين عامة الشعب[1].

[1] المرجع نفسه، ص ص 103-104
[2] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج1، مرجع سابق ، ص 268.
[3] المرجع نفسه، ص 269

عند مقارنة الأختام البابلية بالأختام الأكادية، يظهر الاختلاف واضحاً في الأسلوب الفني والموضوعات. ففي حين ركّز الأكاديون على مشاهد القوة والسيطرة والصراع، نجد أن البابليين فضّلوا مشاهد العبادة والهدوء والرمزية. وهذا يعكس التحول من دولة قائمة على التوسع العسكري (أكاد) إلى دولة ذات توجه ديني وقانوني (بابل).[2]

أما بالمقارنة مع الأختام الآشورية اللاحقة، فإن الأختام البابلية تبدو أقل ازدحاماً بالعناصر، وأكثر ميلاً إلى التبسيط والانسجام. فقد جاء الفن الآشوري أكثر زخرفة وثراءً في التفاصيل، بينما حافظ البابليون على طابع متوازن وهادئ[3].

إن هذه المقارنات تساعد في تحديد الخصوصية الفنية للأختام البابلية، وتؤكد أنها تمثل مرحلة انتقالية مهمة في تاريخ الفن الرافديني، إذ جمعت بين البساطة الرمزية والدقة التقنية[4].

المطلب الرابع: الأختام الأسطوانية في الفترة الآشورية

1- الخصائص العامة للأختام الآشورية:

شهدت الفترة الآشورية (2000–612 ق.م) تطوراً ملحوظاً في فن الأختام الأسطوانية، إذ اتسمت بالنزعة العملية والفنية في آنٍ واحد. فقد ارتبطت الأختام الآشورية بالمؤسسات العسكرية والإدارية، وهو أمر يتناسب مع طبيعة الدولة الآشورية القائمة على القوة والتنظيم الصارم.

[1]Leick, Gwendolyn, Mesopotamia: The Invention of the City, Penguin Books, London, 2001, p. 145.
[2]فرانكفورت، فن الشرق الأدنى القديم، مرجع سابق، ص170.
[3]هنري فرانكفورت ،فن الشرق الادنى القديم،مرجع سابق، ص 172.
[4]BriggsBuchanan,p426.

ومن أبرز سماتها أنّ النقوش على الأختام اتخذت طابعاً أكثر زخرفة وتفصيلاً مقارنة بالأختام البابلية. فالمشاهد أصبحت مزدحمة بالعناصر البشرية والحيوانية والخرافية، ما يعكس الذهنية الآشورية التي أولت عناية خاصة بالقوة والسيطرة والحماية[1].

كما برز دور الأختام في الجانب الاقتصادي، حيث استُعملت في توثيق العقود التجارية، وختم المخازن، فضلاً عن دورها القانوني في المراسلات الرسمية. وقد كان استخدامها منتشراً بين طبقات المجتمع المختلفة، إلا أنّ الأختام الفاخرة المنحوتة بدقة بالغة ارتبطت غالباً بالنخبة العسكرية والسياسية[2].

2- المشاهد الدينية والرمزية:

تكررت على الأختام الآشورية مشاهد الطقوس الدينية التي تظهر العلاقة بين الملك والآلهة، مع حضور رموز القوة والسيطرة[3]ومن بين المشاهد المتكررة:

.1مشاهد الصراع مع الوحوش: حيث يظهر الملك أو بطل أسطوري في مواجهة أسد أو ثور مجنح، في إشارة إلى القوة العسكرية والسيطرة على قوى الشر.(**انظر الملحق رقم 04**)

.2مشاهد العبادة واللقاء الإلهي: حيث يقف الملك أو كاهن أمام الإله آشور أو الإلهة عشتار، وهو ما يعكس الطابع الثيوقراطي للحكم الآشوري.

.3الرموز السماوية: مثل القرص المجنح الذي يرمز للإله آشور، والشمس التي ترمز للإله شمش، مما يدل على حضور الرموز الفلكية في المشاهد[4].

[1]طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج1،مرجع سابق، ص 312.
[2]المرجع نفسه، ص 314.
[3]هنري فرانكفورت ،فن الشرق الادنى القديم،مرجع سابق ، ص ص 190-192
[4]BriggsBuchanan,P469

هذه النقوش كانت تحمل دلالات سياسية ودينية في الوقت نفسه، فهي تبرز الشرعية الإلهية للحاكم وتؤكد أن انتصاراته العسكرية تحظى برعاية الآلهة[1].

3- المواد والتقنيات:

استخدم الآشوريون مواد متنوعة في صناعة الأختام، منها الأحجار الكريمة وشبه الكريمة كاللازورد، والعقيق الأحمر، والكوارتز، إضافة إلى الأحجار المحلية. كما ظهرت أختام معدنية مصنوعة من البرونز والذهب، وهو ما يعكس المكانة الاجتماعية لصاحب الختم[2].

أما من الناحية التقنية، فقد تميز الفنانون الآشوريون باستخدام أدوات دقيقة مكّنتهم من نحت تفاصيل معقدة وصغيرة على مساحات ضيقة. واعتمدوا على أسلوب النحت الغائر العميق، مما جعل النقوش أوضح عند طباعتها على الطين[3].

وتشير الدراسات الحديثة إلى أنّ بعض الأختام الآشورية ربما صُنعت باستخدام تقنيات متقدمة كالمثاقب ذات الرؤوس الماسية، وهو ما ساعد على دقة الخطوط واستقامة الأشكال الهندسية[4].

4- الوظائف الإدارية والعسكرية:

في ظل الطبيعة العسكرية للدولة الآشورية، لعبت الأختام دوراً محورياً في النظام الإداري والاقتصادي. فقد استخدمت في:

توثيق العقود التجارية والديون[1].

[1]Black, J. & Green, p. 112
[2]عادل ناجي، الأختام الأسطوانية في العراق القديم،مرجع سابق، ص ص 133-134.
[3]عادل ناجي،مرجع سابق، ص 135
[4]BriggsBuchanan,P462

ختم المخازن والبوابات الخاصة بالقصور والمعابد.

توثيق المراسلات الرسمية بين الولايات الآشورية.

ختم الأوامر الملكية التي تُرسل إلى القادة العسكريين[2].

وبذلك، كانت الأختام وسيلة لإحكام السيطرة المركزية، وضمان ولاء الولايات التابعة للإمبراطورية. كما أن وجود مشاهد عسكرية وصور الآلهة على الأختام منحها وظيفة دعائية أيضاً، إذ كانت تذكيراً رمزياً بقوة الدولة وهيبتها[3].

5- المقارنة مع الفترات البابلية والحديثة:

تُظهر المقارنة بين الأختام الآشورية والأختام البابلية اختلافاً جوهرياً في التوجه الفني والفكري. ففي حين ركز البابليون على الطقوس الدينية والرموز الروحانية البسيطة، نجد أن الآشوريين أبرزوا الجانب العسكري والسياسي بشكل واضح[4].

أما بالمقارنة مع الأختام في الفترة البابلية الحديثة (الكلدانية)، فيمكن القول إن الأختام الآشورية أكثر زخرفة وتعقيداً، بينما تميل الأختام البابلية الحديثة إلى البساطة والرمزية. وهذا يعكس التباين في طبيعة الدولتين: الآشورية التي قامت على القوة الحربية والتوسع، والكلدانية التي اتسمت بطابع ثقافي وديني أكثر[5].

[1]طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج1،مرجع سابق ، ص ص 315-316
[2]Leick, Gwendolyn, p. 173
[3]المرجع نفسه، ص 174.
[4]هنري فرانكفورت ،فن الشرق الادنى القديم،مرجع سابق ، ص ص 195-196.
[5]المرجع نفسه، ص197.

إن الأختام الآشورية تُعد شاهداً فنياً وتاريخياً على ذهنية المجتمع الآشوري الذي جمع بين السلطة العسكرية والشرعية الدينية، فجعل من الختم أداة توثيق وفي الوقت نفسه أداة دعاية سياسية ودينية[1].

المطلب الخامس: الأختام الأسطوانية في الفترة البابلية الحديثة (الكلدانية)

1- الإطار العام للأختام الكلدانية:

تمثل الفترة البابلية الحديثة (626–539 ق.م)، التي عُرفت أيضاً بالعصر الكلداني، المرحلة الأخيرة من تاريخ الأختام الأسطوانية في بلاد الرافدين. وقد تميزت هذه المرحلة بازدهار حضاري كبير في عهد الملك نبوخذنصر الثاني (605–562 ق.م)، حيث شهدت بابل نشاطاً عمرانياً ودينياً وفنياً واسعاً.

ومع أنّ الأختام الأسطوانية استمرت في الاستعمال، إلا أنّ دورها بدأ يتراجع تدريجياً لصالح وسائل أخرى في التوثيق كالتوقيع بالخط على الألواح الطينية. ومع ذلك، فإن ما وصلنا من أختام هذه الفترة يُظهر خصائص فنية ورمزية مهمة، تعكس الفكر الديني والهوية السياسية للكلدانيين[2].

لقد اتسمت الأختام الكلدانية بالميل إلى البساطة والرمزية الواضحة، مقارنةً بزخرفة وتعقيد الأختام الآشورية. كما ركزت في موضوعاتها على الرموز السماوية والآلهة الرئيسة، وخاصة مردوخ، إله بابل العظيم[3].

2- السمات الفنية للأختام الكلدانية:

تتميز الأختام الكلدانية بخصائص فنية واضحة، منها:

[1] BriggsBuchanan,P469
[2] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، مرجع سابق ، ص 350.
[3] المرجع نفسه، ص 352.

.1البساطة في التكوين: حيث اختفى الازدحام الزخرفي، وأصبح المشهد يتكون غالباً من شخصين أو ثلاثة فقط.

.2الميل إلى الرمزية: إذ ظهرت رموز الآلهة السماوية بشكل أكبر من المشاهد السردية.[1]

.3إبراز الإله مردوخ: باعتباره الإله الرسمي لبابل، وقد صُوّر غالباً وهو جالس على عرش أو ممسك بالعصا والحلقة رمز السلطة.

.4ظهور رموز فلكية: كالهلال والنجوم والقرص الشمسي، في دلالة على الفكر الكوني الذي تبناه البابليون المتأخرون[2].

وقد لجأ الفنانون إلى خطوط رفيعة ومتوازنة، تعكس اتجاهاً نحو التجريد أكثر من المحاكاة الواقعية، وهو ما يتناسب مع الطبيعة الدينية والفلسفية للفكر البابلي في أواخر تاريخه[3].

[1] هنري فرانكفورت ،فن الشرق الادنى القديم،مرجع سابق ، ص ص210-211.
[2] المرجع نفسه، ص 212.
[3] Black, J. & Green, p. 135.

3- المواد والتقنيات:

ظلّت المواد المستعملة في الأختام الكلدانية شبيهة بالفترات السابقة، كالأحجار الصلبة (العقيق، العقيق الأحمر، الكوارتز) إضافةً إلى اللازورد المستورد من أفغانستان. إلا أنّ عدد الأختام المصنوعة من مواد ثمينة في هذه الفترة أقل مقارنة بالعصر الآشوري، مما يعكس تراجع مكانة الختم تدريجياً[1].

من الناحية التقنية، لم تشهد الأختام الكلدانية ابتكارات كبرى، بل اعتمدت على تقاليد النحت السابقة. غير أنّها تميزت بالميل إلى العمق في الحفر الغائر، وبإبراز الخطوط المستقيمة والواضحة، وهو ما يتلاءم مع طابعها الرمزي[2].

4- الوظائف الإدارية والدينية:

رغم تراجع مكانة الأختام مقارنة بالفترات السابقة، إلا أنّها حافظت على وظائف مهمة، أبرزها:

التوثيق الإداري: استُعملت لختم العقود التجارية والألواح الطينية، خاصة تلك المتعلقة بالممتلكات الزراعية والتجارية.

الوظائف المعبدية: استُعملت في المعابد لختم المخازن وتوثيق القرابين المخصصة للآلهة[3].

[1] عادل ناجي، الأختام الأسطوانية في العراق القديم، مرجع سابق ، ص ص 155-156.
[2] المرجع نفسه، ص 157.
[3] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، مرجع سابق ، ص 355.

البعد الرمزي والديني: أصبحت بعض الأختام تُحمل كتعويذات شخصية، تحمل نقوشاً دينية أو رموزاً فلكية، وتُستعمل للحماية الروحية[1].

وهذا يوضح أنّ الأختام في الفترة الكلدانية لم تكن مجرد أداة توثيق، بل اكتسبت بعداً روحياً يتلاءم مع النزعة الدينية القوية التي ميّزت هذه المرحلة[2].

5- الأختام الكلدانية والانتقال إلى العصر الفارسي:

مع سقوط بابل على يد الفرس الأخمينيين سنة 539 ق.م، انتهى فعلياً التقليد الرافديني في صناعة الأختام الأسطوانية. إذ تبنّى الفرس أساليب جديدة، منها الختم الخاتمي (الخاتم ذو الحجر المنقوش)، وهو أسهل استخداماً من الختم الأسطواني.[3]

وعليه، فإن الأختام الكلدانية تمثل المرحلة الختامية لتطور هذا الفن في بلاد الرافدين. فقد جمعت بين الاستمرارية (من خلال استمرار الموضوعات الدينية والرموز السماوية) والتغير (من خلال تبسيط التكوين الفني والاقتصار على الرموز الواضحة[4]. وهي بذلك تشكل جسراً فنياً وحضارياً بين التقاليد الرافدينية والأنماط الفنية الفارسية اللاحقة[5].

[1] Leick, Gwendolyn, p. 201.
[2] المرجع نفسه، ص 202.
[3] هنري فرانكفورت ،فن الشرق الادنى القديم،مرجع سابق، ص 215
[4] BriggsBuchanan,P495
[5] المرجع نفسه، ص 495.

الخـــاتمة

خاتمة:

لقد تناولت هذه المذكرة بالدراسة والتحليل موضوع الأختام الأسطوانية في بلاد الرافدين منذ ظهورها في مرحلة فجر السلالات وحتى سقوط الدولة البابلية الحديثة سنة 539 ق.م، باعتبارها من أبرز النتاجات الفنية والأدوات الإدارية التي خلفتها حضارة بلاد الرافدين. وانطلاقًا من تتبع نشأتها وتطورها ووظائفها المتعددة، أمكن التوصل إلى جملة من النتائج والاستنتاجات يمكن إجمالها فيما يلي:

- ✓ تبرز الأختام الأسطوانية كأداة فنية ذات وظيفة مزدوجة، جمعت بين الجانب العملي المتمثل في ختم الألواح الطينية وتوثيق المعاملات الاقتصادية والقانونية والإدارية، وبين الجانب الرمزي والديني حيث حملت نقوشها مضامين أسطورية وطقسية عكست المعتقدات السائدة. وهذا ما يجعلها مصدرًا أصيلًا لفهم البنية الفكرية والروحية للمجتمع الرافديني.
- ✓ أظهرت الدراسة أنّ الأختام تطورت من حيث الشكل والمادة والتقنيات المستعملة؛ فانتقلت من مواد بسيطة كالحجر الجيري والعقيق إلى مواد أكثر صلابة وجمالًا كاللازورد والعقيق الأحمر. كما تنوعت الأدوات والأساليب في النقش من الحفر الغائر إلى التقنيات الدقيقة التي سمحت بظهور تفاصيل فنية عالية الجودة.
- ✓ أثبتت الأختام أنّها لم تكن مجرد أداة إدارية جامدة، بل كانت مرآة عاكسة للتطورات السياسية والاجتماعية. إذ يمكن من خلال مشاهدها الأيقونية تتبع ملامح السلطة، كصور الملوك والكهنة، فضلًا عن تسجيل مشاهد الحرب والصيد والاحتفالات، مما وفر مادة غنية مكملة للنصوص المسمارية.
- ✓ أكّدت المقارنة بين العصور المختلفة أنّ الأختام الأسطوانية شهدت ذروة فنية خلال العهد الأكدي والعصر البابلي القديم، حيث اتسمت النقوش بالانسجام والدقة والقدرة على التعبير الرمزي، بينما أصبحت في العصور اللاحقة أكثر طابعًا شكليًا ورمزيًا دون العمق الفني السابق، وهو ما يعكس التغيرات التي عرفها المجتمع الرافديني نفسه.
- ✓ من خلال هذا البحث تبيّن أنّ الأختام الأسطوانية تُعدّ مصدرًا تاريخيًا وفنيًا لا غنى عنه للباحثين في حضارة وادي الرافدين، إذ أسهمت في سدّ الكثير من الثغرات التي لم تغطّها النصوص

الكتابية، وأثبتت أنّ الفن في هذه الحضارة لم يكن غاية جمالية فحسب، بل وسيلة توثيق وتعبير اجتماعي وديني وسياسي.

وفي ضوء ما سبق، يمكن القول إنّ دراسة الأختام الأسطوانية لا تزال بحاجة إلى جهود أكاديمية إضافية، لاسيما في الجوانب الفنية الدقيقة كتحليل أساليب النقش ومقارنتها عبر العصور، وكذلك في ربط مضامينها الأيقونية بالتحولات الاجتماعية والسياسية التي عرفتها بلاد الرافدين. ومن هنا فإنّ آفاق البحث المستقبلية مفتوحة أمام دراسات أكثر تفصيلًا، سواء من خلال تحقيق كتالوجات علمية مصورة للأختام في المتاحف العربية، أو عبر مقاربات بين الأختام الرافدينية ونظيراتها في حضارات الشرق الأدنى القديم.

قائمة الملاحق

الملحق رقم (01) : طبعات اختام اسطوانية من عهد الوركاء

المصدر: عيد مرعي ،آثار الوطن العربي (الجزيرة العربية و بلاد الرافدين) ،ص77.

الملحق رقم (02) : ختم اسطواني يمثل البطل العاري و الرجل الثور يقوم بحماية الحيوانات من خطر الاسود

المصدر: سيتون لويد :آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي،ص173.

الملحق رقم (03): ختم اسطواني يمثل مشهد وليمة من عصر السلالات الباكرة.

المصدر ،سيتون لويد ،مرجع سابق،ص173

الملحق رقم (04) : جني بهيئة رجل اسطوري مجنح يفصل بين ثورين مجنحين

المصدر : علي عزيز ناصر حسين:الدلالات الرمزية الماورائية في الاختام الاسطوانية الاشورية الحديثة ،ص903.

الملحق رقم (05) :مشهد تقديم القرابين و المصارعة من العصر البابلي القديم.

المصدر : هدى طالب ،قحطان صبري: الابعاد الفكرية و الجمالية للاختام الاسطوانية البابلية ،ص406.

الملحق رقم (06) : نماذج اختام من العصر الاكادي:

المصدر :نادية عباس عبد الله :التماهي بين الرسم و النحت في الاختام الاسطوانية (العصر الآكادي) ص304.

قائمة المصادر

والمراجع

أولا: باللغة العربية:

1- المراجع:

1. أ.ل. أوبنهايم، ماضي العراق، تر: سليم طه التكريتي، دار الرشيد، بغداد، 1981م.
2. أحمد أمين سليم، تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم تاريخ العراق إيران، آسيا الصغرى، دار المعرفة الجامعية، 2000م.
3. أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ العراق القديم، ط1، دار المعرفة الجامعية، 2000م.
4. أسامة عدنان يحي، تاريخ الشرق الأدنى القديم، آشور بنيبال، العراق، 2015م.
5. برهان الدين دلو، حضارة مصر والعراق التاريخ الاقتصادي- الاجتماعي- الثقافي والسياسي، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 1989
6. بهنام أبو الصوف، آثار العراق، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، 1986
   - المدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة" العراق القديم"، دار الحرية، بغداد، 1986
   - حضارة العراق، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، 1986
   - ملامح من تاريخ وحضارة العراق القديم، دار الحرية، بغداد، 1984.
7. تقي الدباغ وآخرون، حضارة العراق، ج1، ط1، دار الجبل، بيروت، 1965م
8. توفيق سليمان، دراسات في حضارات الغرب القديمة من أقدم العصور إلى عام 1190 ق.م (الشرق الأدنى القديم بلاد ما بين النهرين بلاد الشام)، ط1، دار دمشق، 1980م.
9. الجابر وليد، المناصب والأزياء العسكرية الآشورية، الجيش والسلاح، ج2، (د.ط)، 2009م
10. جان كلود مارغون، السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية، ط1، تر: سالم سليمان العيسى، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1999م
11. جميل أفتدي المدور، نخلة المدور، تاريخ بابل وآشور، تصحيح: إبراهيم اليازجي، بيروت، 1879م
12. خالد العاني، موجز تاريخ حضارة وادي الرافدين، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، 1998.
13. د. عبد القادر حسن، الفن الأكادي"دراسة في الأصول والأساليب"، دار الفكر، دمشق، 2001.

14. رشيد الناضوري، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا، الكتاب الثالث، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، بيروت، 1976م.
15. زهير بستاني، ملامح من حضارة وادي الرافدين، دار المأمون ، بغداد، 1992.
16. زهير كاظم عبود، الفن في العراق القديم، دار الشؤون الثقافية ،بغداد، 1990.
17. ساكر، هاري، عظمة بابل، (د.ط)، تر : عامر سليمان، الموصل، 1969م.
18. سامي سعيد الأحمد، تاريخ العراق القديم، ج1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1989.
- حضارة وادي الرافدين، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983.
- موجز تاريخ العراق القديم، دار الشؤون الثقافية ،بغداد، 1990.
19. سليم مطر، ملحمة الوركاء"جذور الحضارة في العراق القديم" ، دار المدى ، بغداد، 2000.
20. سيتون لويد ، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي ، تر:مُحَمَّد طلب ، ط1، دار دمشق ، 1992-1993.
21. صبحي الديري، الفن في حضارة وادي الرافدين، دار دمشق، دمشق، 2001.
22. صبحي أنور رشيد، الأختام الأسطوانية، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1986
- الفن العراقي القديم، دار الحرية ، بغداد، 1980
- الفن في العراق القديم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1980
23. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج1، دار الوراق للنشر، بيروت، 2002.
- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، حضارة وادي الرافدين، دار الحرية، بغداد، 1976م
- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، دار الحرية ،بغداد، 1973
- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط1، دار الوراق، بيروت، 2009م.
- مقدمة في تاريخ العراق القديم، دار الحرية، بغداد، 1973.
- ملحمة جلجامش "دراسة تحليلية"، دار الرشيد ، بغداد، 1980.

24. عادل ناجي ، الأختام الأسطوانية "حضارة العراق" ، ج4 ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، 1985.
- الأختام الأسطوانية في العراق القديم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1998.
25. عامر سليمان، الفنون في العراق القديم، دار الكتب للطباعة ، الموصل، 1990.
- المدرسة العراقية في دراسة تاريخنا القديم، (د.ط)، الموصل، 2009م.
- تاريخ حضارات العراق القديمة، دار الكتب للطباعة، الموصل، 1985.
- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الكتب للطباعة، الموصل، 1989
26. عبد الأمير الحمداني، الأختام الأسطوانية ودلالاتها التاريخية، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، 2004
- الملامح العامة لحضارة وادي الرافدين، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، 2002.
27. عبد الحميد الزايد، الشرق الخالد (مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور وحتى عام 363 ق.م)، دار النهضة العربية.
28. عبد السلام طه، حضارة العراق القديم" دراسات في التاريخ والآثار"، دار الحرية ،بغداد، 1979، ص 102.
29. عبد القادر حسن، الفن في العراق القديم، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، 1988.
30. فاروق إسماعيل، الفن في العراق القديم، دار الحرية ، بغداد، 1986.
- قراءات في حضارة العراق القديم، جامعة بغداد ،بغداد، 1995.
31. فوزي رشيد، الحياة الاقتصادية في العراق القديم، دار الحرية، بغداد، 1980.
- تاريخ العراق القديم، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، 1986.
- ملامح من تاريخ العراق القديم، دار الحرية ، بغداد، 1978.
- ملامح من تاريخ وحضارة العراق القديم، دار الحرية، بغداد، 1984.
32. كريمو صمويل، من ألواح سومر، تر: طه باقر، مر: وتق: أحمد فخري، مكتبة المثنى ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد، القاهرة، ص08.

33. مُحَمَّد حرب فرزات وعيد مرعي، دول وحضارات الشرق العربي القديم، ط2، سومر وأكاد، بابل وأشور وأمورو وآرام، دار طلاس، دمشق، 1994م.
34. مُحَمَّد طه مُحَمَّد الأعظمي، حمورابي 1792-1750 ق.م، ط1، العراق، بغداد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1990م.
35. وليد سامح قاسم، الخليج العربي مهد الحضارات القديمة، دار الكتب والدراسات العربية، الإسكندرية، 2015م.

2- الدوريات :

1) زينب عبد التواب، رياض خميس، نشأة وتطور المعابد في بلاد الرافدين خلال عصور ما قبل التاريخ، مجلة التراث، مجلد التاسع، العدد 03-23، ديسمبر 2019م.
2) مُحَمَّد علي أبو شحمة، "الأختام الأسطوانية مصدرًا لدراسة تاريخ بلاد الرافدين"، مجلة كلية الآداب، العدد 118، بغداد، 2017.
- الأختام الأسطوانية مصدراً من مصادر دراسة تاريخ بلاد الرافدين، مجلة كلية الآداب، جامعة مصراتة، العدد 20، 2017.
3) مُحَمَّد يوسف مُحَمَّد الجبوري، دراسة فنية تحليلية لأختام أسطوانية غير مدروسة من عصر جمدة نصر محفوظة في المتحف العراقي، مجلة آداب الفراهيدي، العدد 50، 2022.
4) مهني مجيد، بشاري مُحَمَّد الحبيب، التهجير البابلي لليهود رؤية في الأحداث والنتائج، مجلة المعيار، مجلد 25، عدد60، 2021.

3- الرسائل و البحوث الجامعية:

1) آسيا ساحلي، حضارة بلاد الرافدين (المجتمع والعلوم والاقتصاد)، جامعة 20 أوت 1955م، سكيكدة، محاضرة 07 غير منشورة، 2018-2019م.

2) بلخير بقة، أثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية سومر وبابل 3200-539 ق.م، إش: بلقاسم رحماني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009م

3) حفيظة محلب، مظاهر حضارة بلاد الرافدين، مقياس: تاريخ الحضارات، جامعة التكوين المتواصل، 2016-2017م.

4) حميداني سليم، مطبوعة بيداغوجية بعنوان الفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى، محاضرات، جامعة 8 ماي 1945م، قالمة، 2016-2017.

5) الخامسة علاوي، محاضرات مقياس تاريخ الحضارة الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة 1، (د.ت.ن)

6) زينب عبد العزيز، حضارة العراق القديم، جامعة بغداد، 1981م.

7) سامي سعيد الأحمد، السومريون وتراثهم الحضاري، مطبعة الجامعة، بغداد، 1975م

8) عبد الله يوسف خلف، الجيش والسلاح في العهد الاشوري الحديث، رسالة ماجستير، بغداد، 1977م.

9) مُحَمَّد مُحَمَّد عبد اللطيف، عصور ما قبل التاريخ في العراق القديم، جامعة الإسكندرية، 1977م.

10) مظلوم طارق ، مظاهر الفن الأكادي، دار النهضة العربية، بيروت، 1995.

11) ميادة كيالي، مكانة المرأة في بلاد وادي الرافدين وعصور ما قبل التاريخ، مؤمنون بلا حدود، قسم الدراسات الدينية، 17 مابو، 2016م.

12) هاري ساكز، حضارة بابل وآشور تر، سليم طه التكريتي، وزارة الإعلام، بغداد،1985.

13) هنري فرانكفورت، فن الشرق الأدنى القديم، ترجمة سامي سعيد الأحمد، بغداد، 1986.

- فن الشرق الأدنى القديم، ترجمة سعيد الغزّي، وزارة الثقافة، دمشق، 1990.

4- المعاجم و القواميس:

1) مُحَمَّد بهجت قبيسي، معجم المصطلحات الأثرية والحضارية، دار الفكر، بيروت، 2005.

ثانيا باللغة الأجنبية:

1- المراجع:

1) Black, J. & Green, A., Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, British Museum Press, London, 1992.
2) Buchanan, Briggs. Early Near Eastern Seals in the Yale Babylonian Collection.NewHaven and London: Yale University Press, 1981.
3) Leick, Gwendolyn, Mesopotamia: The Invention of the City, Penguin Books, London, 2001.

الفهرس

فهـــرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
شكر و تقدير	
الاهداء	
الملخص	
مقدمة	10
فصل تمهيدي :الاطار التاريخي و الجغرافي لحضارة بلاد الرافدين	
المبحث الأول :الإطار الجغرافي لبلاد الرافدين	12
المطلب الأول : أصل تسمية بلاد الرافدين	12
المطلب الثاني : الموقع الجغرافي لبلاد الرافدين	13
المطلب الثالث : أهمية الموقع الجغرافي في نشوء الحضارات	14
المبحث الثاني : الإطار التاريخي لبلاد الرافدين	16
المطلب الأول : أهم حضارات بلاد الرافدين	16
المطلب الثاني :مظاهر الحياة في حضارة بلاد الرافدين	23
المطلب الثالث : الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين	26
الفصل الأول : ماهية الأختام الأسطوانية ونشأتها في بلاد الرافدين	
المبحث الأول : التعريف العام للأختام الأسطوانية	29
المطلب الأول : مفهوم الأختام الأسطوانية .	29
المطلب الثاني: الاختام الاسطوانية ما قبل فجر السلالات.	31
المبحث الثاني: مواد وتقنيات صناعة الأختام الأسطوانية	36
المطلب الأول : المواد المستخدمة في صناعة الأختام.	36

المطلب الثاني: أدوات وأساليب صناعة الأختام.	39
الفصل الثاني: أهمية الأختام الأسطوانية وتطورها عبر العصور المختلفة لحضارة بلاد الرافدين	
المبحث الأول: أهمية الأختام الأسطوانية ووظائفها	43
المطلب الأول: الأهمية الإدارية والسياسية للأختام الأسطوانية	43
المطلب الثاني: الأهمية الاقتصادية والتجارية للأختام الأسطوانية	45
المطلب الثالث: الأهمية الدينية والفنية للأختام الأسطوانية	46
المبحث الثاني : تطور الاختام الاسطوانية عبر العصور المختلفة لحضارة بلاد الرافدين	47
المطلب الأول: الأختام الأسطوانية في فترة فجر السلالات	47
المطلب الثاني: الأختام الأسطوانية في الفترة الأكادية	50
المطلب الثالث: الأختام الأسطوانية في الفترة البابلية	54
المطلب الرابع: الأختام الأسطوانية في الفترة الآشورية	57
المطلب الخامس: الأختام الأسطوانية في الفترة البابلية الحديثة (الكلدانية)	61
خاتمة	69
الملاحق	70
قائمة المصادر و المراجع	72
فهرس الموضوعات	